الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

وصف الطّبيعة من خلال الشّعر الجاهليّ معلّقة امرؤ القيس أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتان:
خديجة بلخلفة
رحيمة حوتة

إشراف الأستاذ(ة):
سعاد الوالي

السنة الجامعية: 2014/2013

دعاء

قال تعالى:" ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصّالحين" { النّمل 19 }.

وقال أيضا:" فتعالى اللّه الملك الحقّ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربّ زدني علما" { طه 114 }.

"اللّهم إنّي أسألك إخلاصا لا أخشى بعده نفاقا، وأسألك علما نافعا لا أخشى بعده جهلا".

الشّكر والعرفان

الحمد للّه والصّلاة والسّلام على رسول اللّه

الحمد للّه والشّكر له الذي وفّقنا في إنجازنا لأوّل بحث لنا للتّخرّج،

والذي يعدّ أوّل خطوة لنا للسّير على درب النّجاح والتّفوّق وما توفيقنا إلاّ باللّه.

نتقدّم بشكرنا الخالص إلى الأستاذة المشرفة

"سعاد الوالي" التي أحاطتنا باهتمامها وتوجيهها ورعايتها، كذلك لم تبخل

علينا بنصائحها القيّمة.

هذا ولا ننسى أن نشكر كلّ من ساعدنا سواء أكان من قريب أو من بعيد

في إنجازنا لبحثنا المتواضع.

كما نتقدّم بشكرنا الكبير إلى كلّ أساتذتنا الكرام فمنّا لهم كلّ تحيّة مليئة

بالمحبّة والتّقدير والاحترام.

ونرجو من المولى عزّ وجلّ أن يجعل بحثنا هذا خدمة للأجيال المقبلة.

إهداء

أهدي عملنا المتواضع إلى من كانا سببا في وجودي

وكانا عونا وسندا لي في أيّام حياتي، وسهرا على تربيتي وتعبا من أجل نجاحي

في مشواري الدّراسيّ "أمّي وأبي"، وأرجو من المولى

عزّ وجلّ أن يحفظهما ويحيطهما برعايته الواسعة فهو وليّ ذلك سبحانه وتعالى.

كما أهدي عملي هذا إلى كلّ إخوتي "أحسن" "جلال"

"ضياء الدّين"، وأخواتي " كلثوم" و"سلوى"و "حنان" و"مريم" و"وردة"،إلى

بنات أختي كلثوم "تقوى " و"رحمة" و"منال"، وأبناء

أختي سلوى"عبد الرّحيم"و"حديفة"، أهديه إلى كلّ صديقاتي ورفيقات دربي

وإلى زميلتي وصديقتي التي تقاسمت معها بحثنا هذا

وأنجزناه مع بعضنا "رحيمة"، وأهديه كذلك إلى كلّ من ساعدنا سوا ء أكان

من قريب أو من بعيد وأخصّ بالذّكر أختي "حنان" التي

ساعدتنا في كتابتنا لبحثنا ، كما أهديه إلى كلّ أساتذتنا الكرام.

خديجة

إهداء

إلى من كان فؤادها مملوءا بالحبّ والعطاء ومن كانت

مدرستي الأولى، إلى من كان وجودها رمز الحياة السّعيدة والتي كرّمها اللّه عزّوجل وجعل الجنّة تحت قدميها ، إلى ينبوع الحنان "أمي" الغالية.

إلى الذي تعب لراحتي وشقي لسعادتي ، والذي كان

قدوتي في هذه الحياة ومن علّمني كيف أتّصف بالصّبر "أبي "العزيز الغالي.

إلى كلّ إخوتي "صليحة "و"أحمد "و"زكريّاء" ، إلى كلّ صديقاتي

وأخصّ بالذّكر صديقتي "خديجة" التي تشاركت معها بحثنا هذا ، إلى كلّ أساتذتي الكرام وكلّ من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

رحيمة

مقدّمة

مقدّمة:

من المعروف أنّ بيئة الشّاعر الجاهليّ هي شبه الجزيرة العربيّة، وهي بيئة قاسية جدّا، لذلك كانت حياة العرب حلّ وترحال؛ بسبب مناخ هذه الطّبيعة الفريدة التي ورغم قساوتها إلاّ أنّ الشّاعر استمدّ صوره منها. تلك الطّبيعة التي تشكّل بداخلها عالم آخر، عالم الأحاسيس والمشاعر، فيغرق المرء في مظاهرها، ويغوص في أعماقها البعيدة، والشّعراء هم أكثر النّاس ارتباطا بالطّبيعة، وكان من بين هؤلاء الشّاعر الجاهليّ الذي وجد نفسه في بيئة صعبة لنذرة الغيث فيها وقلّة الكلأ، وشساعة صحاريها، رغم ذلك فقد كانت الملهم و المثير الأوّل لقريحة الشّاعر الجاهليّ، فوصف الصّحاري في رحلاته، ووصف الدّيار و الأطلال في فقدانه لأحبّته، ووصف الأنواء والسّحب والبرق في احتياجه للكلأ، ووصف النّجوم والكواكب في اهتداءه، ووصف الخيل في حروبه، والبقر الوحشيّ في صيده، ووصف المرأة في ولهه وحبّه، فصوّر الطّبيعة في أروع وأجمل إحساس.

ومن أبرز الشّعراء الذين برعوا في وصف الطّبيعة الشاعر الجاهليّ امرؤ القيس، الذي تجلّى وظهر حبّه للطبيعة وتعلّقه بها من خلال معلّقته، تلك الطّبيعة التي أمضى فيها أكثر أيّام حياته، فعرف أسرارها، وحقائق تكوينها، فانعكست في شعره بصدق.

وما دفعنا لاختيار هذا العنوان، هو حبّنا للطّبيعة وارتباطنا بها، ونحن نعتقد أنّ كلّ مخلوق خلقه اللّه على هذه المعمورة يربطه بالطّبيعة رابط خفيّ، وكأنّ هذا الرّابط يحكي عن علاقة يعجز العقل عن ترجمتها، وأيضا حبّنا للشعر الجاهليّ الذي يعدّ الثّمرة الأساسية لتراثنا العربيّ القديم، إضافة إلى إعجابنا بالشّاعر الجاهليّ امرؤ القيس الذي يعدّ من فحول الشّعر العربيّ القديم وأنبغهم .

وتطرّقنا لموضوع وصف الطّبيعة، لا يعني أنّ بحثنا هو أوّل بحث قد تناول وصف الطّبيعة، بل سبقتنا العديد من الجهود، سواء أكانت في وصف الطبيعة في العصر الجاهليّ، أوفي أيّ عصر من العصور الأخرى، وما بحثنا هذا إلاّ إضافة لهذه الجهود، ونذكر من بين الدّراسات التي سبقتنا على سبيل المثال لا الحصر، دراسة عبد السّميع موفّق في مذكّرته "الطّبيعة في الشّعر المغربيّ القديم"، وسليمان العطّار في كتابه "شعر الطّبيعة في الأدب الأندلسيّ".

ولقد أثار بحثنا هذا مجموعة من التّساؤلات نجملها في النّقاط التّالية: كيف أثّرت الطّبيعة على نفسيّة امرئ القيس؟ وما مدى انعكاسها في شعره؟ ماهي أهمّ مظاهر الطّبيعة التي تجلّت في معلّقته؟ و للإجابة عن هذه التّساؤلات اتّبعنا الخطّة التالية وقسّمناها إلى مدخل وفصلين.

فالمدخل اخترنا له عنوان: بيئة الشّعر الجاهليّ، تحدّثنا فيه عن البيئة الجاهلّيّة وما مدى تأثيرها على قريحة الشّعراء.

أمّا الفصل الأوّل: فهو بعنوان حياة امرؤ القيس وتأثير الطّبيعة في شعره، و تناولنا فيه لمحة عن حياة امرئ القيس ونشأته وكذا أدبه، وكيف لجأ امرؤ القيس إلى الطّبيعة وتأثير هذه الطّبيعة في شعره.

أمّا الفصل الثّاني فعنوانه: تجلّيات مظاهر الطّبيعة في معلّقة امرؤ القيس وجعلناه فصلا تطبيقيّا ابتدأناه أوّل الأمر بتعريف شعر الطّبيعة وذكر أقسام الطّبيعة والخصائص الفنّية لشعر الطّبيعة في العصر الجاهليّ، ومن ثمّة قمنا باسخراج أهمّ مظاهر الطّبيعة **التي** تجلّت في معلّقة امرؤ القيس.

أمّا الخاتمة فهي استنتاج لكلّ ما قدّمناه في البحث.

واستفدنا في بحثنا هذا من مجموعة من المصادر والمراجع لعلّ أهمّها: "ديوان امرئ القيس"، "الجامع في تاريخ الأدب العربيّ، الأدب القديم" لحنّا الفاخوري، وكتاب "دراسات في الشّعر الجاهليّ" لفوزي أمين، وكتاب "الطّبيعة في الشّعر الجاهليّ" لنوري حمّود القيسي وغيرها من المصادر والمراجع.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التّاريخي والمنهج الوصفي، فالمنهج التّاريخي اعتمدناه من أجل تقصّي بعض الحقائق التّاريخيّة المتمثّلة في معرفة سيرة امرئ

القيس و أهمّ المحطّات التّاريخيّة في حياته، أمّا المنهج الوصفيّ فاعتمدناه من أجل استخراج أهمّ المظاهر الطّبيعيّة التي قام امرؤ القيس بوصفها وإيرادها في معلّقته.

وواجهتنا في بحثنا هذا بعض من الصّعوبات و العقبات التي قد تواجه أيّ باحث ولعلّ أهمّها، أنّه أوّل بحث أكاديمي للتّخرّج نقوم بإنجازه، وكذا ندرة أمّهات الكتب، ولكنّنا عملنا على مواجهة هذه العقبات بكلّ صبر وتجلّد.

وفي الأخير نتقدّم بخالص الشّكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة"سعاد الوالي" التي ساعدتنا وقدّمت لنا الدّعم الكبير، فجزاها اللّه عنّا ووفقّها لما يحبّه ويرضاه. كما لا ننسى أن نشكر كلّ من ساعدنا من قريب أومن بعيد. ونرجو من اللّه العليّ القدير أن يوفّقنا في عملنا هذا، وما توفيقنا إلاّ به.

مدخل

مدخل

لقد اعتاد النّاس تسمية تاريخ العرب قبل الإسلام "العصر الجاهلي" ويرون أنّ العرب في هذه الفترة كانت تغلب عليهم البداوة، وأنّهم متخلّفون عمّن حولهم في الحضارة ولم تكن لهم صلات بالعالم الخارجيّ إلاّ قليلا، وأنّهم أمّيّون، وعبدة أصنام، ليس لهم تاريخ حافل؛ لذلك عرفت الفترة التي سبقت الإسلام بالجاهليّة[1].

وقد اختلف المؤرّخون في تحديد العصر الجاهليّ، فمنهم من يقول إنّ العصر الجاهليّ يشمل كلّ ما سبق من حقب وأزمنة، ولكنّ من يبحثون في الأدب الجاهليّ لا يتّسعون بالعصر الجاهليّ هذا الاتّساع، و إنّما يحدّدون هذا العصر بقرن ونصف من البعثة النّبويّة، ويكتفون بهذه الحقبة الزّمنيّة، وهي الحقبة الّتي تكاملت فيها للّغة العربيّة خصائصها، والّتي جاءنا عنها الشّعر الجاهليّ. وقد لاحظ الجاحظ أنّ الشعر العربيّ حديث الميلاد، صغير السّنّ، وأنّ عمره لا يزيد عن مائتي سنة قبل الدّعوة المحمّديّة، وهذه ملاحظة دقيقة، لأنّ ما قبل هذا التاريخ من الشّعر مجهول. و لذلك فإنّه يمكن الوقوف بالعصر الجاهليّ عند هذه الفترة المحدّدة، وأمّا ما قبل ذلك وهو ما يسمّى بالجاهليّة الأولى فهو خارج عن العصر الذي ورثنا عنه الشّعر الجاهليّ واللّغة العربيّة، والّذي تكامل فيه نشوء الخطّ العربيّ[2].

لا شك أنّ كلامنا سيتناول أدب الجاهليّة الثّانية بسبب غموض تاريخ الأولى وخلوّ ذلك التاريخ من أدب نعتمد عليه في الدّراسة إلّا ما هنالك من نقوش وكتابات تبتعد عمّا نحن فيه، ثمّ إنّ أكثر كلامنا سيدور على البادية وما هو في فلكها، لا شيء إلّا لكون أكثر الشّعراء من بوادي نجد و الحجاز وشتّى النّواحي في قلب الجزيرة العربيّة، سواء أكانوا منها أصلا أو ا نتسابا بعد أن نزحوا إليها و تفاعلوا معها تفاعلا عميقا[3].

---

(1) عادل جابر صالح محمد، شفيق محمد الرّقب:"تاريخ الأدب العربي القديم"، دار صفاء للنّشر و التوزيع، عمّان، الأردن، 2010، ط1، ص9.

(2) المرجع نفسه، ص9.

(3) حنّا الفاخوري : "الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم"، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2005، د. ط، ص89.

ولا عبرة في أن يكون بعض هؤلاء الشّعراء ممّن تقلّبوا في البلاد و اتّصلوا بمختلف الحضارات القائمة لذلك العهد؛ لأنّ التّقلّب والاتّصال لا يمحوان الطّبيعة الأولى والمشرب الأوّل وإن كان لهما أثر فعّال في التّوجيه وتوسيع الآفاق وترقيق الأخلاق[1].

إنّ موطن الشّاعر العربيّ هو شبه الجزيرة العربية وهي مساحة شاسعة تمتدّ من المحيط إلى الهند جنوبا إلى حدود الشّام شمالا، كما تمتدّ من الخليج الفارسيّ شرقا إلى البحر الأحمر غربا، وبحكم اختلاف الاتّساع اختلفت أجواؤها من الحرارة اللاّهبة إلى البرودة الشّديدة، وتباينت تضاريسها بين جبال وهضاب وصحاري وسهول وتفاوتت حياة النّاس فيها بين قبائل مستقرّة تعتمد على الزّراعة، وبين قبائل مترحلة تعتمد حياتها على الرّعي والصّيد وتتّبع مناطق الكلأ[2]. والشّعر الجاهليّ شعر قريب المأخذ يميّزه الوضوح والحسيّة وتنطبع فيه البيئة الجاهليّة بكل معالمها، وبكلّ ما فيها من صامت وناطق فصور الشّاعر الجاهليّ مستمدّة كلّها من البيئة: صحرائها، ونباتها وحيوانها[3] .

والبيئة الغالبة في الشّعر الجاهليّ وفي المطوّلات منه على وجه الخصوص أنّ الشّاعر يبدأ قصيدته بموقف الطّلل، يبكي على أحبابه الذين رحلوا ويسترجع ذكرياته وأيّامه ثمّ يثوب من هذا الموقف، فيبدأ في وصف رحلته مبرزا مخاطر الصّحراء، وصلابة ناقته وقوّتها في تحمّل هذه المخاطر وقد يستطرد، وهو يصف ناقته إلى ذكر الثّور الوحشيّ أو إلى وصف قطيع من حمير الوحش، أو إلى وصف ذكر النّعام وأنثاه عائدين إلى موضع بيضهما، وهذا الاستطراد مرتبط بإبراز قوّة النّاقة وسرعتها ومدى ما عانته من مشاقّ فهي مثيلة للثّور الذي يتحمّل مشاقّ ليلة باردة مظلمة، ويتفاجأ في الصّباح بكلاب الصّياد فيصارعها ويصرعها ويخرج منتصرا، كما خرجت هي منتصرة من رحلتها، وحمير الوحش صورة أخرى، في رحلتها الشّاقة إلى الماء، وفي نجاتها من سهام الصّياد، وكذلك صورة ذكر النّعام وأنثاه في رحلتها الطّائرة الوجلة خوفا على البيض[4].

---

(1) المرجع السّابق، ص89.

(2) فوزي أمين:"دراسات في الأدب الجاهليّ"، كليّة الآداب جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2008، د.ط، ص7.

(3)المرجع نفسه، ص25.

(4) المرجع نفسه، ص26.

فالشّعر العربيّ في عصر ما قبل الإسلام مرآة تعكس بأمانة و صدق واقع الحياة العربيّة في الجزيرة، تلك الجزيرة الشّحيحة التي صيّرت الصّراع بين القوى المتنافسة أمرا لا مناصّ عنه لتأمين العيش اللّائق بالجماعة، ومن هنا كان الاتّجاه نحو القوّة وتمجيدها اتّجاها طبيعيّا غير ذميم، بل ذهب أبعد من ذلك حيث حظي بالاهتمام و الإكبار لأنّه الكفيل بإدامة الحياة على الوجه الذي يرضي جميع أبناء القبيلة ، فالقبيلة القويّة التي تمارس الفعل المؤثّر في الحياة لقوّتها، وقد عكس الشّعر العربيّ في عصر ما قبل الإسلام هذه المظاهر على وجه كبير من الدّقّة و التّفصيل و الوضوح، إنّ قحل الطّبيعة وشحّة الموارد فرضا نمطا خاصّا من الحياة على البيئة الجاهليّة يقوم ذلك النّمط على أساس الصّراع المرير بيت أناسه لحيازة القسط الأكبر من تلك الموارد الضّئيلة القليلة فلذلك كانت القوّة مطلوبة مرادة لتوفير العيش و ضمان الحياة إذ لم تكن الصّحراء العربيّة سخيّة و لا رحيمة بأهلها، فالحياة تقوم على التّنافس الشّديد من أجل العيش في هذه الأرض القاحلة القليلة الأمطار، ومن ثمّة أصبح البقاء للأقوى، ثمّ أصبحت القوّة بكلّ صورها هي المثل الأعلى الذي آمنوا به وحرصوا عليه، فقد كان الجاهليّ يحبّ أن يشاع عنه القوّة والكمال و الصّواب ليحرز بتلك الصّفات[1].

وأدب الجاهليّة ابن تلك البيئة متأثّر بها ومؤثّرة فيه، وقد تأثّر بعوامل كثيرة طبعته بطوابع عرف بها ومن أبرز تلك العوامل الصّحاري الشّاسعة التّي غلبت على الجزيرة حتّى قيل إنّ أرض العرب معظمها صحاري، وقد لعبت الصّحراء دورا بارزا في تشكيل الحياة السّياسية و الاجتماعية، كما أثّرت في تحديد قيم العربيّ وأخلاقه وكانت تخيفه وتحميه في الوقت نفسه[2].

(1) جليل حسن محمد:" قراءات نصّية في الشّعر الجاهليّ"، دار جرير، عمّان، الأردن، 2012، ط1، ص144.

(2) عفيف عبد الرحمان:"الشّعر الجاهليّ حصاد قرن"، دار جرير للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، 2007، ص87.

ونستطيع أن نزعم أنّها تركت بصمتها على كلّ شيء في تلك الفترة، وهكذا فإنّ موطن العرب في جاهليّتهم رقعة شاسعة من الأرض ذات بقاع متباينة في التّضاريس والمناخ و تختلف بيئاتها اختلافا كبيرا، يخلق منها بيئات متعددّة متباينة ممّا اضطرّ العربيّ إلى أن ينتقل من مكان إلى آخر بحثا عن الكلأ والماء لاستمرار الحياة، وكان العربيّ يعيش في خطر دائم وفي أحضان طبيعة قاسية لا ترحم، تهدّده بكلّ مظاهرها، أمّا من الأخطار الخارجيّة فقد كان الأعداء يتربّصون به، ولكن تلك الطّبيعة القاسيّة على أهلها كانت خيرا عليهم بمنعها العدوّ المتربّص من التّوغّل في تلك الأصقاع، وقد حدثت محاولات باءت بالفشل ولكنّ هذا الفشل لم يمنع أولئك الأعداء من استخدام وسائلهم لإقامة مراكز لهم على الأطراف، وفي ظلّ هذه البيئة آمن العربيّ بتقاليد وقيم معظمها تقليدا متوارثا يعتز به[1].

وفضلا عن ذلك كلّه فللبيئة الطّبيعية أثر شديد في تكوين الشّعر الجاهليّ والمسرح الجغرافيّ في قلب الجزيرة العربيّة مسرح جذب و حرّ لنذرة الغيث، وحياة أهل الصّحراء شديدة الارتباط بالمطر فسموّه غيثا، وحتىّ كانوا يفرحون لمشاهدته فرحا عظيما ممّ جرّ الشّعراء إلى الوقوف الطّويل عند السّحاب و البرق و السّيل وما إلى ذلك وحتّى كانوا يجعلونه موضوع دعاء و فاتحة خير، و احتباس المطر هو احتباس الخير نفسه، والبلاد العربيّة لا تخلو من جبال و أقاليم ذات خير وصير، وكان لهذا التّضادّ الجغرافيّ أثره في نفوس سكان الجزيرة العربية، فقد أوجد في شخصيّاتهم لونا من "التّضادّ النّفسيّ"، اصطبغت عناصره بما في البيئة الجغرافيّة من لونيّ المبالغة و عدم الاستقرار، وظهر هذان اللّونان الصّارخان في نفوس البدو، في كلا الجانبين الأخلاقيّين جانب الخير و جانب الشّر، فالبدويّ لا يعرف القصد لا في الخير ولا في الشّر، مبالغ في عداوته مبالغ في محبّته، لا يتورّع عن الغدر، و لكنّه إن عاهد على الوفاء بذل حياته في سبيل عهده يغزو وينهب حتّى يكاد يفقد حياته، ثمّ يوزّع ما يغنمه على سواء[2].

(1) المرجع السّابق، ص83.

(2) حنّا الفاخوري : "الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم"، ص91، ص92.

والبدويّ إلى جانب هذا يألف من الحياة الاستقرار و هذه البيئة القاسية الفقيرة كانت سببا فعّالا في وجود الغزو وانتشاره، كما بثّت في نفوس أصحابها القوّة و الميل إلى كلّ عظيم جبّار و الشّجاعة و الجرأة و الكبرياء و العنيدة وهي صفات طالما تغنّى بها الشّعراء في شعرهم، وهكذا كان الغزو من عناصر الحياة البدويّة فتعدّدت الغارات بين القبائل وتغنّى[1] الشّعراء بأيّامها كما عنوا شديد العناية بوصف آلات الحروب الخيل والإبل وما إلى ذلك، و كان الشّعر في الحروب عند العرب بمقام الآلات الموسيقيّة والطّبول عند غيرهم من الأمم فيغيرون راجزين منشدين المقاطع الحماسية التي تثير الهمم[2].

فالبدويّ كان غائصا في بيئته الصّحراوية، وهي تملأ قلبه ونفسه وكيانه و توجّه تفكيره و عاطفته وخياله، كما توجّه ثمرة تلك القوى؛ أعني بها الأدب فقد كانت طبيعة بلاده رهيبة جميلة تتجلّى له دون حجاب فيراها سافرة بكلّ ما فيها من قوّة وحرارة ويعيش أبدا معها حتّى أضعفت عقله الباطن و جعلت أفكاره جليّة ووجّهت نفسه نحو اليقين ولهذا صفت الفكرة في أدبه و أوجز اللّفظ، وابتعد خياله عن الانفلات الفسيح فكان عقله واقعيّا يتحدّث عن الطّبيعة كما هي بصدق وإخلاص و يصوّرها تصويرا دقيقا كلّ ذلك بمنطلق بسيط وخيال قريب و فلسفة سطحية فكلّما أمامه واضح لا يحتاج إلى تأمل أو شكّ أو حدس[3].

(1) المرجع السّابق، ص92.

(2) المرجع نفسه، ص93.

(3) المرجع نفسه، ص94.

وقد أورثت البدويّ مواجهة الطّبيعة في كلّ آن حضور البديهة و الذّكاء اللّمّاح، كما أورثته الإحساس الدّقيق والشّعور المرهف ولهذا كان أدبه أدب البديهة، ينزع نزعة الإيجاز، بعيدا عن التّركيب العلميّ والتّرتيب المنطقيّ، والصّحراء ذات النّغمة الرّاتبة المتكرّرة، والموسيقى العابسة القاسية، بعثت في نفس البدويّ شيئا من الانقباض والكآبة والوحدة، فتوحّدت نغمة الأدب و تكرّرت على وتيرة واحدة، ضعيفة الحظّ من الابتكار تشكو بعض انقباض و جمود[1].

وهكذا كان الأدب الجاهليّ صورة لبيئته، وثمرة من ثمارها، فاللّغة نفسها تجد ألفاظها في منتهى السّعة و الدّقّة إذا كان مدلولها من ضروريّات الحياة في المعيشة البدويّة:(الإبل، الكلأ، المرعى...)، وتضيق و تغمض إذا لم يكن الأمر كذلك والأدب يتّسع اتّساعا كبيرا لما يتعلّق بالبادية فصوره وتشابيهه من طبيعتها، و حياتها صادقة ودقيقة[2].

(1) المرجع السّابق، ص94.

(2) المرجع نفسه، ص95.

الفصل الأوّل

الفصل الأول: حياة امرؤ القيس وتأثير الطبيعة في شعره.

المبحث1: أصله ونشأته.

المبحث2: حياته

المبحث3: أدبه.

المبحث4: لجوء امرئ القيس إلى الطبيعة.

المبحث5: تأثير بيئة امرئ القيس في شعره.

المبحث الأوّل:أصله ونشأته

1. مولده و نشأته:

"ولد امرؤ القيس حسب تقديرات الباحثين القدامى و المحدثين حوالي 500م في نجد، ونشأ في قبيلته كندة، وهي أسرة ملوك شأنها في ذلك شأن الغساسنة والمناذرة"[1]"وامرؤ القيس هو بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر بن آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن يعرب (بن ثور) بن مرتّع بن معاوية بن كندة"[2].

أمّا أمّه "ففاطمة بنت ربيعة أخت كليب و المهلهل التّغلبيّين، ووهم بعض الرّواة في نسبه أنّه امرؤ القيس بن السّمط بن امرئ القيس بن عمرو الكنديّ، وأنّ أمّه تملك بنت عمرو بن زبيد بن مذحج بن رهط عمر بن معد يكرب، وهو خلط أوقعه في تشابه اسمه مع اسم هذا الشّاعر، و كان في الجاهليّة ستّة عشر شاعرا كلّهم يتسمّى باسم امرئ القيس"[3].

2. كنية و لقبه:

تردّد في كتب الأدب أسماء مختلفة لامرئ القيس، فيسمّى "جندحا" و "عديّا" و"مليكة" ويكنّى "بأبي وهب" و "أبي زيد" و "أبي الحارث"[4] و يلقّب "بذي القروح" ؛ لأنّ قروحا قد ألمّت به بعد أن عاد من زيارته لقيصر الرّوم الذي أعطاه دروعا مسمومة ما إن لبسها حتّى تقرّح جلده، كما لقّب "بالملك الضّليل"؛ وذلك لأنّه ملك وابن ملك ضلّ من بعد رشد[5].

(1) عبد عون الرّوضان:" موسوعة شعراء العصر الجاهليّ"، دار أسامة، عمّان، الأردن، 2001، د.ط، ص35.

(2) ابن سلاّم الجمحي:"طبقات فحول الشّعراء"، قرأه وشرحه محمد محمود شاكر، دار المدني، جدّة، 1970، د.ط، السّفر الأوّل، ص51.

(3) شوقي ضيف:" تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهليّ"، دار المعارف، كرنيش النّيل، القاهرة، 1960، ط22، ص237.

(4) المرجع نفسه، ص237.

(5) عبد عون الرّوضان:" موسوعة شعراء العصر الجاهليّ"، ص35.

"ولقّب أيضا "بامرئ القيس"، ومعناه رجل الشّدة، لقّب به لما لقيه من الشّدائد"[1] كما لقّب "بذَوْدُ القوافي" وهو من الألقاب المتعلّقة بالقوافي، يتداخل فيه عامل استطراف التّعبير الشّعريّ بعامل تصوير اللّحظة الشّعريّة، وقد عبّر امرؤ القيس عن ذلك بقوله:

أَذُودُ القَوَافِي عَنِّي دِيَادًا ذِيَادُ غُلاَمٍ جَرِيءٍ جَوَادِا

فَلَمَّا كَثُرْنَ وَعَنَّيْنَهُ تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ سِتًّا جِيَادًا

فَأَعْزَلَ مُرْجَانَهَا جَانِبَا وَآخَذَ مِنْ دُرِّهَا المُسْتَجَادَا[2]

غير أنّ هناك من الباحثين والنّقّاد الذين يرون بأنّ لقب "ذَوْدُ القوافي" ليس لامرئ القيس بن حجر بن الحارث بل لشاعر آخر، "ويعبّر هذا اللّقب على أنّ الشّاعر الفحل لا يستدعي قوافيه بل القوافي هي التي تأتي إليه"[3].

3. سبب ملك آباءه:

أمّا سبب ملك آباءه على بني وائل فقد رواه أبو عبيدة حيث قال: "لقد تسافهت بكر بن وائل و قطع بعضها أرحام بعض و اجتمع رؤساؤهم"[4] فقالوا: "إنّ سفهاءنا قد غلبوا حتّى أكل القويّ الضّعيف ولا نستطيع دفع ذلك فترى أن نُملِّكَ علينا ملكا نعطيه الشّاء والبعير فيأخذ للضّعيف من القويّ و يردّ على المظلوم من الظّالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا، فيأباه الآخرون فيفسدون ذات بيننا، ولكنّا نأتي تُبَّعًا فنملّكه علينا، فأتوه وذكروا له أمرهم فملّك عليهم حجرا ملك كندة، فلما ملك سدّد أمورهم و ساسهم أحسن سياسة و انتزع من اللّخميّين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل"[5].

---

(1) امرؤ القيس:"ديوان امرؤ القيس"، دار صادر، بيروت، 2007، ط3، ص5.

(2) عبد اللّه ابن أحمد الفيفي:"ألقاب الشّعراء بحث في الجذور النّظريّة لشعر العرب ونقدهم"، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2009، ط1، ص41.

(4) امرؤ القيس:"ديوان امرؤ القيس"، ص5.

(5) المصدر نفسه، ص6.

ولمّا مات ملّك ابنه عمرو إلى سنة 524 م، ثمّ الحارث بن عمرو وهو جدّ امرئ القيس، وأمّه بنت عوف بن محلّم بن ذهل بن شيبان و نزل الحيرة و كانت فيها النّصرانية وبقي عليها. وكان للحارث خمسة بنين: حجر، ومعد يكرب الملقّب "بالغلفاء"؛ لأنّه كان يغلف رأسه بالطّيب، وشرحبيل، وسلمة، وعبد اللّه، ففرّقهم الحارث أبوهم في قبائل العرب: فملّك ابنه حجرا على بني أسد و غطفان، وملّك شرحبيل على بكر بن وائل و بني حنظلة، وملّك معد يكرب على بني تغلب و طوائف بني دارم وبني رقيّة، و ملّك عبد الله على بني عبد القيس، وملّك سلمة على قيس، وبقي الحارث مدّة في ملكه حتّى طلبه أبو شروان وكان ينقم عليه لأمر صدر منه في أيّام والده "قُبَاذ"[1]، فبلغ ذلك الحارث وهو بالأنبار وكان بها منزله فخرج هاربا في هجائنه و ماله وولده فمرّ بالثّويّة، وتبعه المنذر بالخيل من تغلب و بهراء و إياد، فلحق بأرض كلب، فنجا و انتهب ماله و هجائنه، وأخذت بنو تغلب ثمانية و أربعين نفسا من بني آكليّ المرار فقتلوهم "بجفر الأملاك" في ديار بني مرينا العابدين بين دير هند و الكوفة، وفيهم يقول امرؤ القيس في أبياته التي مطلعها:

أَلاَ يَا عَيْنُ اِبْكِي لِي شَنِنًا وَبَكِّي لِي المُلُوكَ الذَّاهِبِينَ

و مضى الحارث و أقام بأرض كلب، وكلب يزعمون أنّهم قتلوه و علماء كندة يزعمون أنّه خرج إلى الصّيد فألظّ بتيس من الظّباء، فآلى بأليّة أن لا يأكل أوّلا إلاّ من كبده،فطلبته الخيل ثلاثا فأتى به بعد الثّالثة وقد هلك جوعا فشوي له الكبد وتناول منه فلذة فأكلها حارّة فمات[2].

(1) امرؤ القيس: "ديوان امرؤ القيس"، ص6.

(2) المصدر نفسه، ص7.

4. مقتل والد امرئ القيس:

"أمّا حجرا فكان ملكا على بني أسد، وكانت له عليهم إتاوة، في كلّ سنة مؤقتة. فعمّر كذلك دهرا، ثمّ بعث إليهم جابيه الذي كان يجيبهم"[1]، فمنعوه من ذلك و حجر يومئذ بتهامة وضربوا رسله وضرحوهم ضرحا شديدا قبيحا فبلغ ذلك حجرا فسار إليهم بجند من "ربيعة"، و جند من جند أخيه "قيس" و "كنانة"، فأتاهم و أخذ سرواتهم، فأخذ يقتلهم بالعصا. فسمّوا عبيد العصا وأباح الأموال وصيّرهم إلى تهامة و حسب أشرافهم ثمّ رقّ لهم، فاستكانوا له حتّى إذا وجدوا غفلة هجموا عليه فقتلوه. قتل حجرا و خلّف أولادا منهم "نافع" وكان أكبر أولاده و"امرؤ القيس" و كان أصغرهم[2].

(1) المصدر السّابق، ص7.

(2)المصدر نفسه ، ص8.

المبحث الثّاني: حياته و أخلاقه.

1. حياة امرئ القيس :

" كان امرؤ القيس ذكيّا متوقّد الفهم، فلمّا ترعرع أخذ يقول الشّعر، فبرز إلى أن تقدّم على سائر شعراء وقته بالإجماع و كان مع صغر سنّه يحبّ اللّهو ويتتبّع صعاليك العرب وينتقل بين القبائل في أحيائها فيغير بهم، وكان يكثر من وصف الخيل ويبكي على الدّمن ويذكر الرّسوم والأطلال وغير ذلك"[1]. فكان أشعر شعراء العرب على الإطلاق، وقد جعل يشبّب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه فلم ينته، فأبعده إلى حضرموت،موطن أبيه وعشيرته و هو في نحو العشرين من عمره[2].

2. أسطورة أمر أبيه بذبحه:

قيل إنّ أوّل شعر نظمه امرؤ القيس قوله:

أَذُودُ القَوَافِي عَنِّي ذِيَادًا ذِيَادُغُلاَمً جَرِيءٍ جَوَادَا

فَلَمَّا كَثُرْنَ وَعَنَّيْنَهُ يُخَيِّرُ مِنْهُنّ سِتًّا جِيَادًا

فَأَعْزِلُ مُرْجَانَهَا جَانِبًا وَآخُذُ دَرَّهَا المُسْتَجَادَا[3]

فبلغ قوله إلى والده فغضب عليه لقوله الشّعر و كانت الملوك تأنف من ذلك.

---

(1) المصدر السّابق، ص8.

(2) محمّد موسى الوحش:"موسوعة أعلام الشّعر العربيّ"، دار حجلة، عمّان، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، 2008، د.ط، ص21.

3) امرؤ القيس: "ديوان امرؤ القيس"، ص8.

فأمر رجلا يقال له ربيعة أن يذبحه، فحمله ربيعة حتّى أتى به جبلا فتركه وأخذ عينيّ جؤذر، فجاء بهما إلى أبيه، فأسف حجر لذلك و حزن عليه، فلمّا رأى ربيعة ذلك قال: ما قتلته قال: فجئني به[1]، فرجع إليه يقول:

وَلاَ تُسَلِّمْنِي، يَا رَبِيعُ لِهَذِهِ وَكُنْتُ أَرَانِي،قَبْلَهَا بِكَ وَاثِقًا

مُخَالِفَةُ نَوَى أَسِيرٍ بِقَرْيَةٍ قُرَى عَرَيِّبَاتٍ،يَشُمْنَ البَوَارِقَا

فَإِمَّا تُرِينِي اليَوْمَ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ فَقَدْ أَغْتَدِي،أَقُودُ أَجْرَدَ تَائقًا

وَقَدْ أَدْعَرَ الَوَحْشُ الرِّتَاعُ بِغَرَّةٍ وَقَدْ أَجْتَلِي بِيضَ الخُدُودِ الرَّوَائِقَا[2]

3. قبيلته وأسرته:

امرؤ القيس من قبيلة كندة، و من بيت السّيادة فيها وهي قبيلة يمنيّة كانت تنزل في حضرموت، وهاجرت منها جماعة كبيرة إلى الشّمال مع هجرات اليمنيّين المعروفة واستقرّت جنوبيّ وادي الرّمّة الذي يمتدّ من شماليّ المدينة إلى العراق، و قد احتلّت مكانًا بارزًا في نجد منذ أواسط القرن الخامس للميلاد، فإنّنا نجد على رأسها أميرا يسمّى حجرا "آكل المرار" تعاقبت الإمارة في بنيه من بعده، يظهر أنّه استطاع أن يفرض سيادته على كثير من القبائل الشّمالية، وأنّه كان يدين بالطّاعة لملوك حمير اليمنيّين[3].

(1) المصدر السّابق، ص8.

(2) المصدر نفسه، ص9.

(3) شوقي ضيف: " تاريخ الأدب في العصر الجاهليّ"، ص232.

وهذه الإمارة الكنديّة النّجدية كانت تقابل إمارة المنادرة في الحيرة، والغساسنة في الشّام ، وقد أدّى وقوعها بينهما ومحاولتها بسط نفوذها على قبائل "معد" من حولها إلى أن تصطدم بالإمارتين المجاورتين لها جميعا، وهو اصطدام تروى أخباره منذ قيام "حجر" "آكل المرار"، إذ كثيرا ما كان يشتبك في حروب مع الغساسنة، ومازال يمدّ رقّة ملكه، حتّى بلغت حدود المناذرة ويتوفّى فيخلفه ابنه عمر ويحافظ على ما ورث عن أبيه من سلطان، ويصهر إليه ملك الحيرة ممّا يدلّ على اتّساع نفوذه[1].

ويعقبه ابنه الحارث، وهو أهمّ أمراء الأسرة ويظنّ أنّه بدأ حكمه حوالي سنة 490م، ويذكر المؤرّخون البيزنطيّون أنّه كان كثير الإغارة على الحدود الرّومانيّة، وكان يقود غاراته على أبناءه حجر ومعد يكرب، وقد أغار على فلسطين الرّومانيّة في عاميّ497م و501م، ولا نتقدّم القرن السّادس حتّى يعظم سلطان الحارث في نجد، وحدث أن غضب "قُبَاذْ" ملك الفرس على "المنذر بن ماء السّماء" أمير الحيرة بسبب رفضه لمذهب المزدكيّة، فعزله وولّى على الحيرة مكانه الحارث، فتحقّق له حلم آباءه بتقويض الإمارة اللّخميّة، وولّى أبناءه على القبائل، ولكن سرعان ما تطوّرت الأحداث فالأحباش استولوا على اليمن وتوفي "قُبَاذْ" و خلفه "كسرى آنو شروان" سنة 528م، وكان يكره مزدك والمزدكيّة، فاضطهد أنصارها في بلاده، وأعاد المنذر بن ماء السّماء إلى الحيرة عاصمته وقد أثار مع الحارث معارك طاحنة، انتهت بقتل الحارث، وتبع المنذر أبناءه يوقع بهم ويؤلب القبائل عليهم، وسرعان ما سقط معد يكرب و سلمة في معركة تعرف بيوم "أُوارة الأولى"، ويقال إنّ معد يكرب أصابه الجنون، وكان شرحبيل قد سقط قبل ذلك في معركة بينه وبين أخيه سلمة تعرف "بيوم الكلاب" الأوّل، أمّا حجر وهو والد امرئ القيس فقتلته قبيلة بني أسد[2].

(1) المرجع السّابق، ص232.

(2) المرجع نفسه، ص233.

4. تشرّده:

"عاد امرؤ القيس إلى والده إلاّ أنّه لم يكف عن قول الشّعر فطرده أبوه وأبى أن يقيم معه أنفة من قول الشّعر، و قيل بل طرده لمّا تغزّل بفاطمة وكان لها عاشقا، فكان يسير في أحياء العرب، ومعه أخلاط من شذّاذهم من طيء وكلب وبكر بن وائل"[1].

"فإذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه وشرب الخمر وسقاهم، وغنته قيانه ، ولا يزال كذلك ينفد ماء ذلك الغدير ثمّ ينتقل منه إلى غيره"[2] .

5. أسطورة زواجه:

وصلنا أنّ امرئ القيس آل بآلياته ألاّ يتزوّج امرأة حتّى يسألها عن ثمانية أسئلة، وأربعة واثنتين، فجعل يخطب النّساء، فإذا سألهنّ عن هذا قلنا: أربعة عشر، بينما هو يسير في جوف اللّيل، إذ هو يرى رجل يحمل ابنة له صغيرة فأعجبته، فقال لها: يا جارية ما ثمانية و أربعة و اثنتان؟ فقالت له: أمّا ثمانية فأطبّاء الكلبة و أمّا أربعة فأخلاق النّاقة و اثنتان فثديا المرأة، فخطبها من أبيه فزوّجه إيّاها و شرطت هي عليه أن تسأله عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك و على أن يسوق إليها مائة من الإبل، وعشرة أعبد و عشر وحائف، وثلاث أفراس، ففعل ذلك، ثم إنّه بعث عبدا له إلى المرأة و أهدى إليها نحيا من سمن ونحيا من عسل وحلّة من عصب، فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلّة و لبسها فعلّقت بشعره فانشقّت، وفتح النّحيين فطعم أهل الماء منهما فنقها. ثمّ قدم على حيّ المرأة وهم غائبون فسألها عن أبيها و أمّها و أخيها ودفع إليها هديّتها فقالت له: أعلم مولاك:أنّ أبي ذهب يقرّب بعيدا و يبعد قريبا[3]. وأنّ أمّي ذهبت تشقّ النّفس نفسين، وأنّ أخي يراعي الشّمس وأنّ سماءكم انشقّت، وأنّ وعائيكم نضبا[4].

---

(1) امرؤ القيس: "ديوان امرؤ القيس"، ص9.

(2) شوقي ضيف:" تاريخ الأدب العربيّ في العصر الجاهليّ"، ص237.

(3) امرؤ القيس:"ديوان امرؤ القيس"، ص10.

(4) المصدر نفسه، ص11.

"فقدم الغلام على مولاه و أخبره. فقال: أمّا قولها: إنّ أبي ذهب يقرّب بعيدا ويبعد قريبا، فإنّ أباها ذهب يحالف قوما على قومه، و أمّا قولها ذهبت أمّي تشقّ النّفس نفسين، فإنّ أمّها ذهبت تقبل امرأة نفساء، وأمّا قولها إنّ أخي يراعي الشّمس، فإنّ أخاها في سرح له يرعاه، فهو ينتظر وجوب الشّمس ليروح به، وأمّا قولها إنّ سماءكم انشقّت، فإنّ البرد الذي بعثت به انشقّ، وأمّا قولها إنّ وعائيكم نضبا، فإنّ النّحيين اللّذين بعثت نقصا فاصدقني فقال يا مولاي: إنّي نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نفسي وأخبرتهم أنّي ابن عمّك، ونشرت الحلّة فانشقّت، وفتحت النّحيين، فأطعمت منهما أهل الماء. فقال: أولى لك.

ثمّ ساق مائة من الإبل و خرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا، فخرج الغلام يسقي الإبل فعجز، فأعانه امرؤ القيس، ورمى به الغلام في البئر وخرج حتّى جاء قوم المرأة بالإبل و أخبرهم أنّه زوجها. فقيل لها قد جاء زوجك فقالت: واللّه لا أدري أزوجي هو أم لا. ولكن انحروا له جزورا و أطعموه كرشها وذنبها"[1]. ففعلوا. "فقالت أسقوه لبنا حارزا، وهذا الحامض، فسقوه فشرب، فقالت: افرشوا له عند الفرث والدّم. ففرشوا له فنام. فلمّا أصبحت أرسلت إليه أنّي أريد أن أسألك، فسألته عن أشياء لم يحسن جوابها. قالت: عليكم بالعبد فشدّوا أيديكم به ففعلوا. قال: ومرّ قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر فرجع إلى حيّه فساق مائة من الإبل و أقبل على امرأته، فقال لها: قد جاء زوجك. فقالت: واللّه ما أدري أهو زوجي أم لا، ولكن انحروا له جزورا فأطعموه من كرشها وذنبها. ففعلوا. فلمّا أتوه بذلك قال: وأين الكبد و السّنام و الملحاء. فأبى أن يأكل. فقالت: أسقوه لبنا حازرا. فأبى أن يشربه وقال: فأين الصّريف و الرّثية"[2].

(1) المصدر السّابق، ص11.

(2) المصدر نفسه، ص12.

فقالت: "افرشوا له عند الفرث و الدّم. فأبى أن ينام وقال: افرشوا لي فوق التّلعة الحمراء واضربوا لي عليها خباء، ثمّ أرسلت إليه: هلمّ شريطتي عليك بالمسائل الثّلاث.

فقال لها: سلي عمّا شئت، فقالت: ممّا يختلج كشاحك"؟[1]

قال: للبسي الحبرات.

قالت: فممّا تختلج فخذاك؟

قال: لركضي المطيّات.

قالت: هذا زوجي لعمري فعليكم به واقتلوا العبد.

فقتلوه وتزوّج الجارية[2].

6. تصعلكه:

كان امرؤ القيس لا يزال مع صعاليك العرب حتّى أتاه خبر مقتل أبيه وهو بدّمون من أرض اليمن و قيل من الشّام. و أخبر ابن السّكين: أنّ حجرا أباه لمّا طعنه بعض من أبي أسد و لم يجهز عليه، أوصى ودفع كتابه إلى رجل من بني عجل، يقال له عامر الأعور، وقال له انطلق إلى بني نافع، فإن بكى وجزع، فآله عنه وَاسْتَقِرْ أولادي، واحدا واحدا حتّى تأتي امرأ القيس، وكان أصغرهم وإن لم يجزع، فادفع إليه سلاحي وخيلي ووصيّتي، و قد كان بينّ في وصيّته من قتله وكيف كان خبره.

فانطلق الرّجل بوصيّته إلى نافع ابنه، فأخذ التّراب ووضعه على رأس. "ثمّ استفراهم واحدا واحدا، فكلّهم فعل ذلك، حتّى أتى امرؤ القيس، فوجده في دمّون مع نديم له يشرب ويلاعبه النرد. فقال له: قتل حجر"[3].

---

(1) المصدر السّابق، ص12.

(2) المصدر نفسه، ص13.

(3) المصدر نفسه، ص13.

فلم يلتفت إلى قوله وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: "اضرب. فضرب حتّى إذا فرغ قال: ما كنت لأفسد عليك دستك. ثمّ سأل الرّسول عن أمر أبيه فأخبره"[1]. فقال:

تَطَاوَلَ اَللَّيْلُ عَلَيْنَا.دَمُّونْ دَمُونْ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ،

وَإِنَّنَا لِأَهْلِنَا مُحَيُّونَ[2].

خَلِيلَيَّ مَا فِي الدَّارِ مَصْحَى لِشَارِبٍ، وَلَافي غَدٍ، إِذَا ذَاكَ، مَا كَانَ مَشْرَبُ[3]

ثمّ قال :"رحم اللّه أبي ضيّعني صغيرا، وحمّلني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر"[4]. اليوم قحاف ، وغدا نقاق.

ثمّ شرب سبع كؤوس من الخمر ، فلمّا صحا آلى أن لا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهنّ بدهن، ولا يلهو بلهو، ولا يغسل رأسه من جنابة حتّى يثأر لأبيه فيقتل من بني آله مائة و يجرّ نواصي مائة، وفي ذلك يقول:

أَرَقْتُ وَلَمْ يَأْرَقْ لِمَا بِي نَافِعٌ وَهَامَ لِيَ الشَّوْقُ الهُمُومَ الرَّوَادِعَ[5]

(1) المصدر السّابق، ص13.

(2) شوقي ضيف:" تاريخ الأدب العربيّ في العصر الجاهليّ"، ص237.

(3) امرؤ القيس:" ديوان امرئ القيس"، ص14.

(4) محمّد موسى الوحش:"موسوعة أعلام الشّعر العربيّ"، ص21.

(5) امرؤ القيس: "ديوان امرئ القيس"، ص14.

ولمّا جنّه اللّيل رأى برقا فقال:

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ بِلَيْلِ أَهْلِ يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الجَبَلِ

أَتَى فِي حَدِيثٍ، فَكَذَّبَهُ، بِأَمْرٍ تُزَعْزَعُ مِنْهُ القُلَلُ

بِقَتْلِ بَنِي أَسْدٍ رَبَّهُمْ أَلاَ كَلَّ شَيْءٍ جَلَلْ

فَأَيْنَ رَبِيعةُ عَنْ رَبِّهَا أَيْنَ تَمِيمٌ، وأَيْنَ الخَوَلْ

أَلاَ يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِهِ كَمَا يَحْضُرُونَ، إِذَا مَا اسْتَهَلْ[2]

فامرؤ القيس قد تعب وذهب عنه النّوم من برق تلألأ في اللّيل وقد أضاء ضوءه أعلى الجبل، بعد أن جاءه أمر وفاة أبيه، ولكنّه كذّب هذا الخبر، الذي تزعزت قمّة الجبل لسماعه، فقد قتل بنو أسد سيّدهم، وهو والد امرئ القيس، ولو أنّهم فعلوا شيئا أخر غير هذا لكان ذلك الأمر صغيرا وحقيرا، فأين ربيعة، وأين تميم، وأين العبيد الإماء، فقد تركوه ولم يأتوا للأخذ بثأره على الرّغم من أنّه كان يقابلهم بوجه متلألأ فرحا بقدومهم.

(1)المصدر السّابق، ص14.

(2) المصدر نفسه، ص15.

7. تأهّبه للأخذ بالثّأر:

بعد أن قال امرؤ القيس مقولته الشّهيرة:"اليوم خمر وغدا أمر، أخذ يعدّ العدد ويجهّز الأسلحة لمحاربة بني أسد. فبلغ بني أسد ما يعدّه لهم فأوفدوا عليه رجالا من قبائلهم كهولا وشبّانا، فيهم المهاجر بن خداش ابن عمّ عبيد بن الأبرص وقبيصة بن نعيم، وكان في بني أسد مقيم، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردا وإصدارا، يعرف ذلك كلّه منة كان محيطا بأكناف بلده من العرب.فلمّا علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدّم بإكرامهم والإفضال عليهم و احتجب عنهم ثلاثا.فسألوا من حضرهم من رجال كندة. فقال: هو في شعل بإخراج ما في خزائن أبيه حجر من السّلاح و العدّة.

فقالوا: اللّهمّ غفرا. إنّما قدمنا في أمر تتناسى به ذكر ما سلف و نستدرك به ما فرط، فليبلّغ ذلك عنّا"[1].

فخرج عليهم في قباء (ثوب يلبس فوق اللّباس)، وخفّ وعمامة سوداء وكانت العرب لا تعتمّ بالسّواد إلاّ في التِّرَاتْ(الانتقام). فلمّا نظروا إليه قالوا له وبدر إليه قبيصة:"إنّك في المحلّ والقدر و المعرفة بتصرّف الدّهر، وما تحدثه أيّامه، وتنتقل به أحواله، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ، ولا تذكرة مجرّب، ولك من سؤدد منصبك وشرف أعراقك، كان الحجر التّاج و العمّة فوق الجبين الكريم، وإخاء الحمد و طيب الشّيم.ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لمّا بخلت كرائمنا على مثله يبذل ذلك ولفديناه منه.ولكن مضى به سبيل لا يعرف أولاه عن أخراه، ولا يلحق أقصاه أدناه، فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال:إمّا أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتا وأعلاها في بناء المكرمات صوتا، فقدناه إليك بِنَسْعِهِ(سير يشدّ به الخفّ في الرّجل) يذهب في شفرات حسامك" فيقال[2]:

(1)المصدر السّابق، ص15.

(2)المصدر نفسه، ص16.

"رجل امتحن بملك عزيز، فلم تُسْتَلْ سخينته(ضغينته) إلاّ بتمكينه من الانتقام، أو فداء بما يروح من بني أسد من نعمها، فهي ألوف تجاوز الحسبة، فكان ذلك فداء رجعت به القضب إلى أجفانها، لم يردده تسليط إلاّ حنّ على البراء"[1]، وإمّا أن توادعنا حتّى تضع الحوامل فتسدل الأزر، ونعقد الخمر فوق الرّايات. فبكى امرؤ القيس ساعة ثمّ رفع رأسه فقال: "لقد علمت العرب أن لاكفء لحجر في دم، وإنّي لن أعتاض به جملا أو ناقة، فاكتسب بذلك سبّة الأبد وفتّ العَضُدَ، وأمّا النّظرة، فقد أوجبتها إلى جنّة في بطون أمّهاتها، ولن أكون لعطبها سببا وستعرفون طلائع كندة، من بعد ذلك تحمل القلوب حنقا، وفوق الأسنّة علقا.

إِذَا جَلَتِ الخَيْلُ فِي مَأْزِقٍ تُدَافِعُ فِيهِ المَنَايَا النُّفُوسَا

قال: أتقيمون أم تنصرفون؟

قالوا: بل ننصرف بأسوإ الاختيار، وأبلى الاجترار، لمكروه وأذيّة وحرب وبليّة"[2].

ثمّ ارتحل امرؤ القيس حتّى نزل بكر وتغلب، وعليهم إخوته شرحبيل وسلمة، فسألهم النّصر على بني أسد. ثمّ بعث عليهم فنذروا بالعيون (علموا بالحواسيس)، ولجأوا إلى بني كنانة، وكان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث. فلمّا كان اللّيل قال لهم علباء: يا معشر بني أسد تعلمون واللّه أنيس عيون امرئ القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة. ففعلوا. و أقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب، حتّى انتهى إلى بني كنانة، وهو يحسبهم بني أسد، فوضع السّلاح فيهم وقال: يا لثارات الملك يا لثارات الهمام، فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت:أبيت اللّعن لسانك بثأر، نحن من كنانة فدونك ثأرك، فاطلبهم فإنّ القوم قد ساروا بالأمس[3].

(1)المصدر السّابق، ص16.

(2)المصدر نفسه، ص17.

(3)المصدر نفسه، ص18.

فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم فقال في ذلك:

أَلاَ يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ هُمْ كَانُوا الشِّفَاءَ، فَلَمْ يُصَابُوا

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ وَبِالأَشَقَّيْنِ مَا كَانَ العِقَابِ

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ، جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكَهُنَّ صِفْرَ الوِطَابِ[1]

ثمّ سار وراء بني أسد سيرا حثيثا إلى أن أدركهم، وقد تقطّعت خيله، وقطّع أعناقهم العطش، وبنو أسد جامّون على الماء، فنهد إليهم، فقاتلهم حتى كثر القتلى والجرحى فيهم، وحجز اللّيل بينهم. وهربت بنو أسد، فلمّا أصبحت بكر وتغلب أبو أن يتبعوه[2]. وقالوا له: قد أصبت ثأرت وانصرفوا عنه ومضى لوحده حتّى لحق حمير فاستنصر أسد شنوءة فأبو أن ينصروه، فنزل بقيل يدعى مرثد الخيل الحميريّ. فأمدّه بخمسمائة رجل، وتبعه شذاذ العرب واستأجر من القبائل رجالا[3]. فسار بهم إلى بني أسد، ومرّ بتالة، وبها للعرب صنم تعظمه يقال له ذو الخصلة. واستقسم عنده بقداحة وهي ثلاثة: الآمر، والنّاهي، والمتربّص، فأجالها فخرج النّاهي، ثمّ أجالها فخرج النّاهي، ثمّ أجالها النّاهي، فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصّنم وقال: ويحك لو أبوك قتل ما عُقْتَنِي. ثمّ خرج فظفر ببني أسد، وقال في نيله منهم من أراد من ثأره، أبياتا مطلعها:

يَا دَارُ مَاوِيَّةَ بِالحَائِلِ فَالسَّهْبُ فالخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ[4]

(1) المصدر السّابق، ص18.

(2)المصدر نفسه، ص19.

(3)شوقي ضيف:" تاريخ الأدب في العصر الجاهليّ"، ص239.

(4)امرؤ القيس:"ديوان امرؤ القيس"، ص20.

8. وفاته:

وردت روايتان عن وفاة امرئ القيس. فكانت الرّواية الأولى موته بالجذريّ، حيث ذكر نونوز المؤرخ أنّ "يُوسْتُونْيَانُسْ" قلّده إمرة فلسطين، إلاّ أنّه لم يسع في إصلاح أمره وإعادة ملكه، فضجر امرؤ القيس وعاد إلى بلده، فأصابه مرض كالجذري في طريقه فكان سبب موته. وذكر في كتاب قديم مخطوط أنّ ملك قسطنطنية لمّا بلغه وفاة امرئ القيس أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه، ففعلوا وكان تمثال امرئ القيس هناك إلى أيّام المأمون. وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لمّا دخل بلاد الروم ليغزو الصّائفة[1].

أمّا الرواية الثّانية فهي أسطورة موته بالحلّة المسمومة، حيث طلب امرؤ القيس من السّموأل أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني بالشّام، ليوصله إلى قيصر. ثمّ استودعه هندا والأدرع والمال، وأقام معها يزيد بن الحارث بن معاوية بن عمّه، ومضى حتّى انتهى إلى قيصر. فقبّله وأكرمه وكانت له عنده منزلة. فاندسّ رجل من بني أسد يقال له الطّمّاح، وكان امرؤ القيس قتل أخا له من بني أسد، حتّى أتى بلاد الرّوم فأقام مستخفيا ثمّ إنّ قيصر منحه جيشا كثيفا وفيهم جمانة من أبناء الملوك فلمّا فصل، قال: لقيصر قوم من أصحابه: إنّ العرب قوم غدر لا نأمن أن يظفر هذا بما يريد ثمّ يغزوك بمن بعثت معه[2].

(1)المصدر السّابق، ص26.

(2) المصدر نفسه، ص24.

وقال ابن الكلبيّ: بل قال له الطّمّاح: إنّ امرأ القيس غويّ فاجر. وإنّه لمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنّه كان يراسل ابنتك، وهو قائل في ذلك أشعار يشهّر بها في العرب فيفضحها ويفضحك. فبعث إليه حينئذ بحلّة وشْي مسمومة منسوجة بالذّهب وقال له: إنّي أرسلت إليك بحلّتي التي كنت ألبسها تكرمة لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة واكتب إليّ بخبرك من منزل. فلمّا وصلت إليه اشتدّ سروره بها، ولبسها في يوم صائف فتناثر لحمه وتقطّر جسده، وكان يحمله جابر بن حنين التّغلبيّ، فلذلك سمّي ذو القروح. وقال في ذلك قصيدة مطلعها:

تَأْو بَنِي دَائي القَدِيمِ. فَقَلَّسَا أُحَاذِرُ أَنْ يَرْتَدَّ داءِي فَأُكْنَسَ

قال:فلمّا صار إلى بلدة من بلا د الرّوم تدعى أنقرة احتضر بها فقال:

رُبَّ طَعْنَةٍ مُثَعَنْجِرَهْ وَجَفْنَةٍ مُتَحَيِّرَهْ

وَقَصِيدَةٍ مُتَخَيَّرَهْ تَبْقَى غَدًا فِي أَنْقَرَهْ

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك مات هناك فدفنت في سفح جبل يقال له عسيب، فسأل عنها فأخبر بقصتها فقال،

أَجَارَتَنَا إِنَّ المَزَارَ قَرِيبٌ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَاتٌ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

ثمّ مات فدفن إلى جانب المرأة فقبره هناك[1].

(1) المصدر السّابق، ص25.

المبحث الثّالث: أدبه:

1. ديوانه:

لامرئ القيس ديوان شعر لا يخلو من أبيات منحولة، وهي إمّا مغايرة لنفسه الشّعريّ، وأساليبه في النّظم، أو مخالفة لبيئته التي عاش فيها، وأشهر ما له معلّقته.

وشعر امرئ القيس قسمان قسم للهوه وتشرّده وقسم لثأره وسخطه.

أمّا القسم الأوّل . قسم اللّهو والتّشرّد . فقد انطلق بغرام الرّجل وتنقّله من مكان إلى مكان في صحبة شبّان وصوّر المغامرات التي قام بها، وأمّا القسم الثّاني. قسم الثأر والسّخط . فقد كان إرعادا وتهديدا، واستفزازا وتشجيعا للمناصرين[1].

وقد طبع ديوانه مرارا، وكان أوّل من طبعه "دي سلان" Deslane بباريس سنة1837م، وقد أخرجه من مخطوطتين لكتاب "دواوين الشّعراء السّتة " "للشّنتمري" وهي دواوين امرئ القيس و النّابغة، وزهير، وطرفة، وعلقمة، وابن عبدة، ومعروف أنّ الشّنتمريّ يحتفظ في شرحه لهذه الدّواوين برواية الأصمعيّ، وبعد أن ينتهي منها من كلّ شاعر يضيف إليها بعض الزّيادات من روايات أخرى، وقد نشر "دي سلان" باسم" نزهة ذوي الكيس وتحفة الأدباء في قصائد امرئ القيس" وجرّد نشرته من شرح "الشّنتمري"، وعني المستشرق "ألوارد"Ahlwaadt بنشر الدّواوين السّتّة في سنة1870م، ولم يأخذ برواية "الشّنتمري " في ديوان امرئ القيس، فقد نشره من نسخة مروية عن السّكري وألحق به غير قصيدة و مقطوعة ممّا وجده منسوبا إليه في كتب الأدب و التّاريخ .

وطبع الدّيوان بعد ذلك من صنعة أبي بكر البطليوسي في مصر والهند وإيران وأخرجه الحسن السّندوبي، في نشرة مرتّبة على حروف المعجم وساق فيها كلّ ما وجد منسوبا إليه في الكتب الأدبيّة و التّاريخيّة[2] .

---

(1) حنّا الفاخوري:"الموجز في الأدب العربيّ وتاريخه، الأدب العربيّ القديم"، دار الجيل، بيروت، 1991، ط2، المجلّد الأوّل ، ص187.

(2) شوقي ضيف:" تاريخ الأدب العربّي في العصر الجاهليّ"، ص243.

كما أخرجه مصطفى السّقا مع بقيّة الشّعراء معتمدا على رواية الشّنتمريّ في مجموعته الّتي سمّاها "مختار الشّعر الجاهليّ".

وفي سنة 1958 نشر محمّد أبو الفضل إبراهيم الدّيوان نشرة علميّة جديدة، بدار المعارف في القاهرة، و اعتمد في نشرته على مجموعة من المخطوطات،استطاع من خلاله أن يوزّعه على رواياته، وبدأ برواية الأصمعيّ نقلا عن نسخة الشّنتمريّ الّتي تضمّ الدّواوين السّتّة كما قدّمنا والّتي تحتفظ بسند وثيق يصل بين الشّنتمريّ والأصمعيّ، فهي رواية موثّقة، وهي تشمل على ثمان وعشرين قصيدة ومقطوعة من رواية الطّوسي وهي رواية كوفيّة .

ويلي ذلك زيادات من هذه الرّواية نصّ الطّوسي على انتحالها و تقع في اثنين وثلاثين قصيدة، ثمّ زيادات من نسخ السكّري، وابن النّحاس المصريّ وأبي سهل عن بعض الكوفيّين، وبذلك تبلغ قصائد الدّيوان ومقطوعاته مائة. وقد ألحق بها أبو الفضل تخريجا دقيقا.

وإذا أخذنا بالبحث في هذه الرّوايات لاحظنا توّا أنّ أعلاها في الثّقة رواية الشّنتمري عن الأصمعي، فهي موصولة السّند، وقد تلاها زيادات من روايات كوفيّة، و بمجرّد النّظر في تحرّيها، نجد شكّ في الرّواية، ومعنى هذا أنّ هذه الرّوايات ليست وثيقة.

إذن فالرّواية التي ينبغي أن نناقش الدّيوان ونفحصه على أساسها هي رواية الأصمعيّ، وقبل مناقشتها ينبغي أن نلاحظ الشُّبَهْ العامّة التي تدور حول شعر امرئ القيس ولعلّ أهمّها ما جاء على لسان الأصمعي نفسه إذ رُوِيَ عنه أنّه كان يقول:"كلّ شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حمّاد الرّاوية، إلاّ نتفا سمعناها من الأعراب و أبي عمرو بن العلاء"[1].

(1) المرجع السّابق، ص243.

وحمّاد في أشعاره يقابل ابن الكلبيّ في أخباره فأكثرها منحولة وفي الموشّح للمرزباتي يقال:"إنّ كثيرا من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه". وعن الياشي يقال:"إنّ كثيرا من شعر امرئ القيس ليس له، وإنّما هو لفتيان كانوا يكوّنون معه مثل عمرو بن قميئة و غيره ".

ولا بدّ أن نضيف إلى ذلك. قِدَمْ عهد امرئ القيس، فقد بعدت الرّواية بينه وبين عصور التّدوين، وقد أُدِلَّ من قومه، ولم يعد له شأن منذ زوال دولة آباءه.

ولابدّ أن نضيف أيضا أنّه كان في العصر الجاهليّ كثير من الشّعراء الذين تسموا باسم امرئ القيس، حتّى يقال أنّهم بلغوا ستّة عشر قيسا. وقد تداخل شعرهم في شعره وينبغي ألاّ ننسى أبدا أنّ رواية الأصمعيّ بشهادته غير وثيقة، بما دخلها من رواية حمّاد وهناك رواة آخرون غير الأصمعيّ يلاحظون كثرة ما دخل من انتحال في شعر امرئ القيس حتّى لنرى الطّوسي يقرّر لذلك فصلين في نسخته: فصل يذكر فيه القديم المنحول وفصل يفرده للمستحدث[1].

2. امرؤ القيس شاعر اللّهو والغرام:

أغرم امرؤ القيس في صباه بعنيزة ابنة عمّه شرحبيل وقد طلبها زمانا فلم يصل إليها، وكان يوم الغدير وهو يوم دارة جلجل، فخرجت عنيزة مع من احتمل من الحيّ في جماعة من النّساء و الفتيات، فكمن لهنّ امرؤ القيس وحظي بمرأى حبيبته، ونظم قصيدته وقد ضمّنها لوعة الفراق وسرور اللّقاء، وقد قال في هذه الحادثة:

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لِي مِنَ البِيضِ صَالِحٌ وَلاَسِيَمَا يَومَ بِدَارَةِ جُلْجُلِ[2]

(1) المرجع السّابق، ص244.

(2) حنّا الفاخوري: "الموجز في تاريخ الأدب العربيّ، الأدب القديم"، ص 178.

3. شاعريّة امرئ القيس:

امرؤ القيس من فحول شعراء الجاهليّة، ويعد من المتقدّمين من ذوي الطّبقة الأولى، ويتجلّى في شعره رقّة اللّفظ وجودة السّبك وبلاغة المعاني، سبق الشّعراء إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتّبعه عليها الشّعراء، كوقوفه واستيقافه صحبه في الدّيار، ورقّة النّسيب، وقرب المآخذ، وجودة التّشبيه وتفنّنه فيهنّ ودقّة الوصف وبراعته فيه، وما في وصفه من حياة وحركة، وما في شعره من رمز وتلميح ومن موافقة الألفاظ للمعاني.

قيل سأل العبّاس بن عبد المطّلب عمر بن الخطّاب عن الشعراء وأميرهم فقال: امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشّعر فافتقر عن معان عور أصحّ أم بصير.

وفضّله الإمام عليّ بأن قال: رأيت امرئ القيس أشعر الشّعراء نادرة وأسبقهم بادرة، وأنّه لم يقل لرغبة ولا لرهبة.

وقيل إنّ امرأ القيس لم يسبق الشّعراء لأنّه قال ما لم يقولوا، ولكنّه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشّعراء واتّبعوه فيها لأنّه أوّل من لطّف المعاني، ومن استوقف في الطّلول و الالتفات إلى الأحباب والتّفتّن في الأوصاف، وقد ترك امرؤ القيس مذهبا شعريّا هو الوقوف على الأطلال والبكاء عليها، وهذا ما سار عليه الشّعراء من بعده[1].

(1)امرؤ القيس:"ديوان امرؤ القيس"، ص27.

4. معلّقته وسبب نظمه لها:

نالت معلّقة امرئ القيس اهتماما كبيرا منذ القديم وذلك راجع إلى ما تتميّز به من خصائص، حيث جاءت معلّقته في صورة متماسكة، هذا وتجلّت فيها مظاهر وصف كثيرة، فنجد أنّ امرؤ القيس قد وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الدّيار والآثار، ثمّ استشعر العزاء وتجلّد، ثمّ التاع وتنهّد، ثمّ كأنّه عفا وتجدّد، وذكر يوم الغدير، ووصف عقر ناقته للعذارى، وتبذّله لمن تبذّل الجآدر، وارتماءهنّ بلحمها وشحمها، ثمّ ألمّ بأطراف العفاف من ابنة عمّه، ووصف الجمال وصفا ظاهرا يبلغ شهوة النّظر، ثم وصف طول اللّيل وخرج من الفخر إلى وصف الخيل، واستتبع ذلك بالصّيد والقنص والطّعام، ثمّ رفع عينيه إلى البرق والسّحاب، وخفضها إلى الجمل فزمّله من المطر في ثياب أغمضها وسكت كما يسكت على خير جواب[1].

ويعود السّبب المباشر في نظم امرئ القيس هو يوم دارة جلجل، حيث التقى امرؤ القيس بابنة عمّه شرحبيل، خارجة مع من احتمل من الحيّ في جماعة من النّساء والفتيات، فنحر لهنّ ناقته، ثمّ راح ينظم القصيدة، واصفا ذلك اليوم المشهود وما أتيح له فيه من لحظات الحبّ ومتع الغرام، ومضيفا إلى ذلك كلّه من الذّكريات ما تيسّر له، حتّى كانت المعلّقة ثلاثة أقسام رئيسية: الوقوف على الأطلال، وذكرى اللّقاء يوم دارة جلجل وأوصاف لمشاهد شتّى تراءت له في حلّه وترحاله: اللّيل والوادي يعوي فيه الذئب و الفرس، والصّيد، والبرق، والسّيل[2].

(1)مصطفى صادق الرّافعي:" تاريخ آداب العرب"، مكتبة الإيمان، المنصورة، أمام جامعة الأزهر، 1997، ط1، ج2، ص173.

(2)حنّا الفاخوري:"الجامع في تاريخ الأدب العربيّ، العصر الجاهليّ"، ص177.

5-مصادر ثقافته:

ذكر ابن رشيق أنّ امرأ القيس كان يتوكّأ على أبي دؤاد الإيادي، ويروي شعره، وربّما كان هذا التّوكّأ قاصرا على وصف الخيل الّذي برع فيه أبو دؤاد، وانتقل منه إلى امرئ القيس، وذكر غيره أنّه تأثّر بعبيد الأبرص الذي كان أكبر من شاعرنا سنّا وأقدم زمانا.

وقال بعض الأقدمين إنّ خاله المهلهل هو الّذي علّمه القريض، وروت الأخبار أنّه لقي السّموأل والتّوأم اليشكريّ، وعلقمة الفحل، وصحب عمر بن قميئة، وجابر بن جني وهما أكبر منه سنّا، و أقدم في الشّعر سابقة." فالمصدر الأوّل من ثقافته شعر من سبقه، وما تركته في نفسه البيئة الصّافية الّتي جعلته سليم الفطرة، يرسل الكلام على السّجيّة، ولا يأبه بمنطق يقيّد الأفكار، ولا وحدة عقليّة تنتظم أجزاء القصيدة و تحكم حركة الموهبة السّمحة والمصدر الثّاني من مصادر ثقافته البيئة الحضريّة الّتي وضعت بين يديه ما لم يتهيّأ للكثير من الشّعراء أن يطّلعوا عليه"[1].

(1)غازي ظليمات، عرفان الأشقر:"الأدب الجاهليّ، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه"، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2002، ط1، ص321.

6 . ماستحسن النّاس من تشبيه امرؤ القيس:

استحسن النّاس من تشبيه امرئ القيس ما يلي:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا العَنَّابُ وَالحَشْفُ العَالِي[1]

وقوله:

كَأَنِّي بِفَحْشَاءِ الجَنَاحَيْنِ لَقُوَّةٌ دَفُوقٌ مِنَ العَقَبَاتِ طَأْطَأَتْ شَمْلالِ

وقوله:

بِعَلْجَزَةٍ قَدْ أَتْرَزَ الجَرْكَاءُ لَحْمَها كَمِيتٌ، كَأَنَّهَا هِرَاوَةُ صِنْوَال

وَصُمٍّ حَوَامٍ مَايَقِينَ مِنَ الوَجَى كَأَنَّ مَكَانَ الرَّدْفِ مِنْهَا عَلَى دَالِ

وقوله:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تَشُبُّ لِعَفَّالِ

كَأَنَّ الصُّوَرَ إِذَا تَجَاهَدْنَ غُدْوَةً عَلَى جَمْزَى، خَيْلٌ تَجُولُ بِإِجْلَالِ

وقوله:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[2]

(1) محمّد ابن سلاّم الجمحي: "طبقات فحول الشّعراء"، ص55.

(2) المصدر نفسه، ص83.

وقوله:

كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وقوله:

دَرِيرُ كَغُدْرُوفِ الوَلِيدِ أَدَرَّهُ تَتَابُعَ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

وقوله:

كَمِيتٌ يَزِلُّ اللَّبْدَ عَلَى حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْرَاءِ بِالمُتَنَزَّلِ[1]

وقوله:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيبْتَلِي[2]

(1) المصدر السّابق، ص83.

(2) المصدر نفسه، ص84.

7. ما قيل عنه في منزلته:

أ) النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم: عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال:"ذاك رجل مذكور في الدّنيا منسيّ في الآخرة، شريف في الدّنيا خامل في الآخرة، يجيء يوم القيامة وبيده لواء الشّعراء يقودهم إلى النّار". قال الأرناؤوط إسناده ضعيف جدّا، كما ضعّفه الألباني.

ب) عليّ رضي اللّه عنه: سئل من أشعر الشّعراء فقال:"إنّ القوم لم يجدوا في حلبة تعرف الغاية عن قصيّتها، فإذا كان ولابدّ فالملك الضّليل.

ج) أبو عبيد بن معمر المثنى: امرؤ القيس هو أوّل من فتح الشّعر ووقف واستوقف وبكى في الدّمن ووصف ما فيها.

د) يونس بن حبيب: إنّ علماء البصرة كانوا يقدّمون امرؤ القيس.

هـ) لبيد بن ربيعة: أشعر النّاس ذو القروح[1].

و) الفرزدق: يقول الفرزدق وهو يجيب شاعرا صغيرا مبتدءا "كان الشّعر جميلا بازلا عظيما فنحر فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه، وعمر بن كلثوم سنامه وزهير كاهله، والأعشى والنّابغة فخذيه، وطرفة ولبيد كركرته ولم يبق إلاّ الذّراع والبطن فنوزّعهما بيننا"[2].

(1)قاسمي شاهيناز:"الرّؤيا والفنّ في معلّقة امرؤ القيس"، مذكّرة معدّة استكمالا لنيل شهادة الماستر، أدب ولغة عربيّة، المركز الجامعيّ لميلة، إشراف الأستاذ رشيد سلطاني، 2012، ص147

(2) عبد عون الرّوضان:" موسوعة شعراء العصر الجاهليّ"، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، 2001، د.ط، ص46، ص47.

ز) يقول ابن سلاّم الجمحي في طبقات فحول الشّعراء: "وأخبرني شعيب بن صخر عن هارون بن إبراهيم قال: سمعت قائلا يقول للفرزدق: من أشعر النّاس يا أبا فراس؟ قال: ذو القروح قال حين يقول ماذا؟ قال حين يقول:

وَقَاهُمْ جَدَّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ وَبِالأَشَقَّيْنِ مَا كَانَ العِقَابُ

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ حَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صِفْرَ الوِطَابِ

وقال أيضا أخبرني أبّان بن عثمان البجليّ قال: مرّ لبيد في بني نهد، فأتبعوه رسولا مسؤولا ليسأله من أشعر النّاس؟ قال الملك الضّليل فأعادوه إليه قال قال ثمّ من؟ قال: الغلام القتيل، وقال غير أبان: ابن العشرين يعني طرفة، قال ثمّ من؟ قال الشّيخ أبو عقيل يعني نفسه، فهذان امرؤ القيس وطرفة.

وأتبعه يتلوه، فاحتجّ لامرئ القيس من يقدّمه قال: ماقال ما لم يقولوا، ولكنّه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب وأتبعه فيها الشّعراء ، استيقاف صحبه، واستبكى في الدّيار، ورقّة النّسيب، وقرب المآخذ، وشبّه النّساء بالظّباء والبيض، وشبّه الخيل بالعقيّات والعصيّ، وقيّد الأوابد وأجاد في التّشبيه"[1].

ي) يقول الجاحظ: إنّ امرئ القيس هو أوّل من نظم الشّعر عند العرب وقد أجمع سائر النّقّاد القدامى على أنّه أوّل من: "وقف واستوقف وبكى واستبكى وقيّد الأوابد"[2].

(1) ابن سلاّم الجمحي:" طبقات فحول الشّعراء"، ص51.

(2) عبد عون الرّوضان: "موسوعة شعراء العصر الجاهليّ"، ص46.

المبحث الرّابع: لجوء امرئ القيس إلى الطّبيعة:

تشكّل عناصر الطّبيعة بمفرداتها المختلفة معجما دلاليّا يتّكئ عليه الشّعراء في صياغة صورهم، إذ لا يستطيع الشّاعر المرهف الذي تتفتّح عيناه على عناصر الجمال في الطّبيعة أن يمرّ على ما تختزنه ذاكرته من مظاهرها دون أن تنبت في مخيّلته صور تخصبها الطّبيعة.

ونجد أنّ شاعرنا امرؤ القيس كان متأثّرا بالطّبيعة وكان يجعلها ملاذا للتعبير عن أفراحه وأحزانه ، وكذا ذكرياته ومغامراته ، وقد تجلّى حبّه للطّبيعة في أشعاره وخاصّة في معلّقته، "التي أمضى فيها ومعها أجمل وأكثر أيّام حياته،هذا وأصبحت الطّبيعة جزء لا يتجزّء من حياته وذاته فقد تأمّلها طويلا وعايشها على أسرارها ودقائق تكوينها، فرأى فيها الآفاق الممتدّة والسّكوت المهيب والصّمت الجليل، كما عرف جمال عيون الأبقار الوحشيّة التي تحيط بالجمال إحاطة السّوار بالمعصم، فهام بها وأخذت مكانة خاصّة في قلبه، فكان نتيجة ذلك أن أكثر من وصفها، ووصف الحيوانات الأخرى كالحمار الوحشيّ وكلب الصّيد والفرس"[1].

فالشّاعر وصف وصادق الطّبيعة بكلّ مظاهرها وتكويناتها، من ليل ومطر وغير ذلكمن المظاهر، فقد عبّر عن تشرّده في وصف البرق والمطر والسّيول، كما استشهد امرؤ القيس بقرائن الحبّ والحياة من الطّبيعة ومظاهرها، واستمدّ كذلك قرائن الحياة والموت من مظاهرها[2].

(1) قاسمي شاهيناز:" الرّؤيا والفنّ في معلّقة امرؤ القيس"، ص44.

(2) المرجع نفسه، ص45.

وهكذا نجد ملامح الطّبيعة في معلّقة الشّاعر، معينا ثريّا يرفد الصّورة برموز ودلالات متنوّعة ، فلم يقف الشّاعر عند حدود الوصف الشّعوري، وإنّما تناغم مع الطّبيعة في مشاهد تشخيصيّة، اتّبعت خلالها الحياة في رموز الطّبيعة.

وبهذا نرى الشّاعر متأمّلا هذا الوجود كإنسان أوّلا، وكفنّان ثانيا، ثمّ شاعر تصحبه نزعة وجوديّة، وتظهر الرّغبة في الفناء عند اليأس، ثمّ تظهر رغبة العيش والتّمسّك بالحياة بكلّ مظاهرها الطّبيعيّة، فتظهر نشوته وسعادته، خاصّة عند تخيّل الشّاعر نفسه إلى جانب حبيبته[1].

وبذلك كانت الطّبيعة هي الملجأ والملاذ الوحيد لدى الشّاعر امرئ القيس إذ لعبت دورا كبيرا في صقل قريحة الشّاعر ، وكذا المنبع الذي يعبّر فيه عن مشاعره وكذا أفراحه وأحزانه فكان لكلّ مظهر من مظاهرها سواء الحيّ أو الجامد حضور في شعره.

1)المرجع السّابق، ص46.

المبحث الخامس: انعكاس بيئة امرئ القيس في شعره:

إنّ موضوعات الشّعر الجاهليّ هي البيئة، في شتّى صورها، وهي البيئة الصّحراويّة بأرضها وسماءها، بجمادها وحيوانها ونباتها، والحياة القبليّة بخيرها وشرّها[1].

فالشّاعر امرؤ القيس قد انعكست بيئته في شعره، "فنجد في وصف الفرس صورا مستوحاة من حياة البادية، هناك جلمود صخر حطّه السّيل من عل، والمطر في الصّحراء عواصف كان تتحوّل بسرعة إلى سيول غدّارة يعقبها الجفاف(...) وهناك أيطلا ظبي، وساقا نعامة، وإرخاء سرحان وتقريب تثفل، وكلّ ذلك من المجتمع الحيوانيّ في البوادي (...)"[2].

فقد كان لعالم الجاهليّة القاسي وحياته القبليّة البدويّة انعكاس على شعر امرئ القيس، فجاء شعر امرؤ القيس انعكاسا للبيئة التي كان يعيش فيها والطّبيعة من حوله التي امتزجت روحه بها فأنشد بذلك شعرا كان من أعذب الأشعار، وهذا ما أكسبه مرتبة ما بين فحول الشّعراء.

(1) حنّا الفاخوري:" الموجز في الأدب العربيّ وتاريخه، الأدب القديم"، ص105.

(2) المرجع نفسه، ص184.

الفصل الثّاني

الفصل الثّاني: تجلّيات مظاهر الطّبيعة في معلّقة امرئ القيس:

المبحث الأوّل: شعر الطّبيعة.

المطلب1: تعريف شعر الطّبيعة وأقسام الطّبيعة.

المطلب2: الخصائص الفنّيّة لشعر الطّبيعة في العصر الجاهليّ.

المبحث الثّاني: نماذج من وصف الطّبيعة في معلّقة امرئ القيس:

المطلب1: وصف الطّبيعة الجامدة (الصّامتة).

المطلب2: وصف الطّبيعة الحيّة (المتحرّكة).

المبحث الأوّل: شعر الطّبيعة:

أوّلا: تعريف شعر الطّبيعة وأقسام الطّبيعة.

1 . تعريف الطّبيعة لغة:

لقد وردت تعريفات لغويّة عديدة للطّبيعة ومن بينها تعريف ابن منظور لها في لسان العرب حيث جاء في مادّة طبع، "الطّبع والطّبيعة الخليقة والسّجيّة التي جبل عليها الإنسان، والطّباع كالطّبيعة المؤنّثة.

وقال الأزهريّ: ويجمع طبع الإنسان طباعا، وهو ما طبع عليه من طباع الإنسان من مأكله ومشربه"[1].

وجاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: الطّباع: الذي يأخذ فيطبعها، ويقرضها أويسوّيها، فيطبع منها سيفا أو سكّينا ونحوه طبعت السّيف طبعا وصنعته الطّباعة، وما جعل في الإنسان من طباع المأكل والمشرب وغيره من الأطبعة التي طبع عليها، والطّبيعة الاسم بمنزلة السّجيّة والخليقة ونحوه[2] .

وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي: الطّبع والطّبيعة والطّباع ككتاب السّجيّة جبل عليها الإنسان، والطّباع ككتّاب ما ركب فيما من المأكل والمشرب وغير ذلك من الأخلاق التي لا تزايلنا كالطّابع كصاحب وطبع عليه، كصنع ختم أو السّيف أو الجرّة من الطّين[3].

---

(1) ابن منظور: " لسان العرب"، ضبطه خالد رشيد القاضي، دار الصّبح، بيروت، لبنان، 2006، ط1، ج1، ص111.

(2)أبي عبد الرّحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي:" كتاب العين"، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، د.ت، ج2، ص23.

(3)محبّ الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز أبادي الشّيرازي:" القاموس المحيط"، الهيئة العامّة للكتاب، 1989، ط3، ج3، ص56.

2 . تعريف شعر الطّبيعة:

عرّف سيّد نوفل شعر الطّبيعة بقوله: "يمكن تعريفه في إجمال غير جميل، بأنه الشّعر الذي يمثّل الطّبيعة الحيّة والطّبيعة الصّامتة كما امتثلتها نفس الشّاعر وجمّلها خياله"[1]

يتبيّن لنا من خلال تعريف سيد نوفل أنّ شعر الطّبيعة هو الشّعر الذي يصوّر مظاهر الطّبيعة سواء أكانت حيّة والتي تتجلى في جميع الكائنات المتحرّكة، والطّبيعة الصّامتة التي تشتمل على الجمادات، وتصوّر من طرف الشّاعر الذي تجلّت فيها نفسيّته وجمّلها خياله.

هذا ويذكر في موضع آخر تعريفا مفصّلا فيقول: " فهو الشّعر الذي يمثّل الطّبيعة وبعض ما اشتملت عليه، و الطّبيعة تعني شيئين الحيّ ممّا عدا الإنسان، والصّامت كالحدائق والحقول والغابات والجبال وما إليها"[2].

ونفهم من التّعريف الثّاني لسيّد نوفل أنّ شعر الطّبيعة هو ذلك الشّعر الذي يصوّر لنا الطّبيعة بكلّ ما فيها، وأنّ الطّبيعة تشمل شيئين كلّ الكائنات الحيّة ما عدا الإنسان منها، أمّا الصّامت أو الجامد فهو يشمل الحدائق والحقول والغابات وغيرها.

ويعرّف جودت الرّكابي شعر الطّبيعة فيقول هو:" هو الشّعر الذي يمثّل الطّبيعة وبعض ما اشتملت عليه من جوّ طبيعيّ يزيده جمالا خيال الشّاعر، وتتمثّل فيه نفسه المرهفة وحبّه لها واستغراقه لمفاتنها"[3] .

---

(1) عبد السّميع موفّق:"الطّبيعة في الشّعر المغربيّ القديم"، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربيّ القديم، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009، ص19.

(2)المرجع نفسه ، ص20.

(3) المرجع نفسه، ص21.

فمن تعريف جودت الرّكابي لشعر الطّبيعة نفهم أنّه الشعر الذي يصف الطّبيعة وبعض ما فيها من الأشياء من بينها الجوّ الطّبيعيّ الذي يجعله جميلا أكثر هو خيال الشّاعر، وكذا حبّه لهذه الطّبيعة وافتتانه بمناظرها.

ويمكن إضافة عنصر مهمّ لشعر الطّبيعة، ونعني به عنصر الحنين والشّوق إلى البلد والأوطان، فالشّاعر حينما يتذكّر أيّامه ولياليه الغابرة في مدينته، أو وطنه البعيد لا يمكن أن يفصل البيئة الطّبيعيّة عن ذكراه، بل قد يقصر تلهّفه وشوقه على استرجاع صور تلك المناظر الجميلة العطرة[1] .

وبهذا كانت الطّبيعة هي الملهم الأوّل لدى كثير من الشّعراء وبخاصّة منهم الشّاعر الجاهليّ، الذي كان شديد الارتباط بالطّبيعة والبيئة التي كان يعيش فيها، بالإضافة إلى حياته التي كانت حياة حلّ وترحال، فانعكست صور البيئة الطبيعيّة في أشعاره، وبذلك تولّد شعر الطبيعة في الجاهليّة وفي العصور التي أتت من بعده وازدهر بكثرة في الأندلس.

(1) محمّد مجيد السّعيد:"الشّعر في عهد المرابطين والموحّدين بالأندلس"، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، 2008، ط3، ص124.

ثانيا. أقسام الطّبيعة:

منذ أن خلق الإنسان على الأرض، اتّجه عقله إلى الظّواهر الطّبيعيّة المحيطة به، فوقف متأمّلا حائرا في مظاهر الكون من حوله فيحاول تفسيرها فرفع رأسه إلى السّماء، باعتبارها مركزا ومصدرا له، ووقع الإنسان ضعيفا وعاجزا أمام هذه الظّواهر لعدم قدرته على التّحكّم بها، ولاعتقاده بأنّها تسيطر على مجريات حياته بخيرها وشرّها[1].

" لقد شغف العربيّ بالطّبيعة من حوله فسحرته بغموضها وفتنته بعناصرها وظواهرها وهيمنت على إحساسه وأثارت في نفسه مشاعر غامضة تموج بالأسرار والأوهام وأسباب الدّهشة والإثارة. فصور الجاهليّ مأخوذة من بيئته ومن واقعه، من مظاهر الحياة العامّة أو من مظاهر الكون الطّبيعيّة من حوله، السّاكنة والمتحرّكة فقد أحاط الشّاعر الجاهليّ بجميع ظواهر البيئة التي كان يعيش فيها"[2].

فقد وصفوا الإبل ولفوتها والقفار ومياهها وحمير الوحش والبقر والظّلمات والوعول. يقول ابن رشيق :" ومقاصد النّاس تختلف فطريق أهل البادية ذكر الرّحيل و الانتقال وتوقّع البين، والاشفاق منه، وصفة الطّلول والحمول، والتّشوّق بحنين الإبل ولمع البروق ومرّ النّسيم، وذكر المياه التي يلتفّون عليها والرّياض التي يحلّون بها من خزامى وأقحوان، وبهار، وحنوة، وظيان، وعرار، وما أشبهها من زهور البرّيّة الذي تعرفه العرب"[3].

وتنقسم الطّبيعة إلى قسمين: الطّبيعة الصّامتة والطّبيعة الحيّة.

(1)فؤاد إسماعيل إشتية:" القمر في الشّعر الجاهليّ"، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة، كلّيّة الدّراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين، 2010، ص4.

(2) نوال مصطفى إبراهيم:"اللّيل في الشّعر الجاهليّ"، دار البازوري العلميّة،عمّان، الأردن،2009، ص15، ص16.

(3)النّاصر العجمي:"الخطاب الوصفيّ في الشّعر العربيّ القديم، الشّعر الجاهليّ أنموذجا"، دار المغاربة للنشر والتّوزيع، 2003، د.ط، ج1،ج2، ص88.

1. تعريف الطّبيعة الصّامتة:

ويقصد بها الطّبيعة المشتملة على الجمادات، ومن أهمّ ظواهر الطّبيعة الصّامتة نجد: الجبال وكثبان الرّمال و الرّياح والأمطار والنّجوم والبرق والرّعد واللّيل والنّهار والشّمس والشّجر والطّلل والنّبات[1].

2 . تعريف الطّبيعة الحيّة:

ويقصد بها الطّبيعة التي تحتوي على الكائنات الحيّة المتحرّكة ذات الصّوت، ومن ظواهر هذا النّوع من الطّبيعة نجد: وصف المرأة والحيوان بشتّى أنواعه، كالخيل والفرس والبقر الوحشيّ وغيره من الحيوانات[2].

وهناك نوع أخر أضافه بعض الدّارسين والباحثين وهو الطّبيعة الصّناعيّة، وهي الطّبيعة التي يرجع للإنسان الفضل في تأليفها وتنسيقها ، كالقصور والنّوافير والنّقوش والتّماثيل وغير ذلك ممّ تستطيع يد الإنسان صنعه.

(1) نوال مصطفى إبراهيم:"اللّيل في الشّعر الجاهليّ"، ص16.

(2) المرجع نفسه، ص15.

ثالثا: الخصائص الفنّيّة لشعر الطّبيعة في العصر الجاهليّ:

1. الواقعيّة في شعر الطّبيعة:

يتميّز شعر الطّبيعة في الجاهليّة بخاصّية الواقعيّة فالشّاعر الجاهليّ مثلا كان يتحدّث على كلّ شيء يراه أمامه أو أحسّ به أو شاهده "فكانت أوصافه مستمدّة من المظاهر التي وقعت تحت عينيه، وكان شعره مستمدّا من صميم البيئة التي وجد فيها ومن النّزوع الطّبيعيّ للتّعبير عن الوجود الحيّ الذي كان يعيشه"[1].

إذ أنّ الحياة الجاهليّة لم تكن ذات نمط واحد أو صورة واحدة وإنّما كانت تختلف من منطقة إلى أخرى، فالشّاعر الجاهليّ كان حريصا على أن تكون صوره مأخوذة من واقعه المحسوس.

هذا ومن مظاهر الواقعيّة أيضا في شعر الطّبيعة نجد: "اهتمام الشّعراء بالألوان عند تعرّضهم لمظاهر الطّبيعة وكأنّهم كانوا يبتغون الدّقّة في التّصوير بما يعطون من ألوان الأشياء أو يذكرون من تفاصيلها"[2]. فقد وجدوا في أنّ الألوان هي الوسيلة الأنسب للتّعبير؛ لأنّها تصوّر مشاعرهم وأحاسيسهم بصدق.

2. القصصيّة:

تعدّ القصصيّة من أهم خصائص شعر الطّبيعة إلى جانب خاصيّة الواقعيّة فنجد أنّ كثيرا من الشّعراء الجاهليّين كانوا يعتمدون على أسلوب السّرد القصصيّ ويظهر ذلك عند "تناولهم للحيوان الذي يصوّرونه، إذ كثيرا ما يصبح ذلك تقليدا يتّسم به بعضهم ، وكثيرا ما كان يرد هذا السّرد في أحاديثهم عن الصّيد والمديح والرّثاء[3].

(1) نوري حمّود القيسي:" الطّبيعة في الشّعر الجاهليّ"، دار الإرشاد، بيروت، 1970، ط1، 308.

(2) المرجع نفسه، ص312.

(3) المرجع نفسه، ص316.

"وقد اتّخذ الشّعراء من حياتهم الحافل بالحوادث مادّة ثريّة لهذا الفنّ، يعرضون فيه ما يصادفهم ويعترضهم من صعوبات الحياة ومشاكلها وأتباعها. فالقصصيّة خاصّية مهمّة من خصائص الشّعر الجاهليّ، إذ أنّ جلّ القصائد التي تناول فيها الشّعراء وصف الرّحلة ورد فيها سرد قصصيّ"[1].

3. الخصائص المعنويّة:

ممّ يتميّز به الشّعر الجاهليّ أنّ معانيه تكون واضحة ، فالشّعر الجاهليّ بعيد كلّ البعد عن التّكلّف وهذا راجع" لنشوئه في بيئة لم تتعقّد فيها حياة الإنسان تعقيدا يوحي بالتّكليف ، فالشّاعر الجاهليّ كان يحرص على نقل صور الطّبيعة كما هي دون أن يحدث لها أيّ خلل وبذلك فقد اعتبر أدب تلك الفترة أصدق الآداب العربيّة ، فالشّاعر الجاهليّ أثبتها في رسم الحياة ، وتبيين مظاهرها التّاريخيّة وهو يعطي الدّارسين الوجه التّقريبيّ للحياة العربيّة خلال العصر الجاهليّ"[2].

وقد أدرك القدماء حقيقة هذا الأمر وحرصوا على الاستشهاد بنماذجهم الأدبيّة في أدبهم ذلك أنّ الشّاعر الجاهليّ كان"بعيدا عن تحليل الأوصاف، والتّعمّق في التّشبيهات ، والإيغال في عقد المقارنات، فكان إذا أراد التّشبيه كانت تشابيهه حسّيّة، يحاول إبقاء جواهر الموضوعات على حالها دون تغيير أو تبديل"[3].

(1) المرجع السّابق، ص316.

(2)المرجع نفسه، ص324.

(3) المرجع نفسه، ص325.

4. الخصائص اللّفظيّة والموسيقيّة:

لقد ارتبطت الخصائص اللّفظيّة بالخصائص المعنويّة في الشّعر الجاهليّ ذلك أنّ الخصائص اللّفظيّة لا يمكن لها أن تظهر إلاّ بظهور الخصائص المعنويّة، وبذلك كانت الألفاظ متشابهة إلى حدّ كبير؛ وهذا راجع إلى أنّ المعاني التي كان يريدها الشّاعر الجاهليّ كانت متشابهة، وقد وقع الشّعراء الجاهليّون في كثير من التّكرار وذلك راجع إلى معالجتهم نفس المواضيع [1].

هذا وكان بعض الشّعراء يضطرّ إلى تكرار اللّفظ الذي يحاول به تقوية النّغم، وكذا التّشديد على رنين الكلمات، أو استعمال بعض الحروف التي تمتاز بجرسها الموسيقيّ، بالإضافة إلى ذلك فقد كانوا يفضّلون استعمال اللّفظ الجزل في وصفهم لحيواناتهم، ويكون ذلك بالرّبط ما بين القوّة اللّفظيّة والقوّة الجسديّة التي لم يستهن بها الشّاعر الجاهليّ، وكأنّه كان يرى أنّه من المفترض عليه أن يوفّق في عرضه لأوصاف الحيوانات ما بين الحيوان القويّ و اللّفظ الجزل، وبذلك كانت هذه الشّدة أو الصّلابة التي أصبحت تقليدا لفظيّا يسير عليه الشّعراء[2] .

(1) المرجع السّابق، ص363.

(2) المرجع نفسه، ص384.

رابعا: مميّزات الشّعر الجاهليّ.

يتميّز الشّعر الجاهليّ بخصائص عدّة مستمدّة من البيئة التي كان يعيش فيها الشّاعر، ونجد أنّ" وعوثة الصّحراء وخشونة العيش، وحرّية الفكر، وطبيعة الجوّ، وسذاجة البدو، كلّ أولئك طبع الشّعر الجاهليّ بطابع خاصّ وميّزه بسمة ظاهرة، فتجلّى فيه الصّدق في تصوير العاطفة، وتمثيل الطّبيعة، فلا تجد في شعرهم تكلّفا في الأداء، وبذلك كثر الإيجاز، ونذرت المبالغة، وضعفت العناية بسياق الفكر على سنن المنطق، فكانت المعاني واهية، ومساق الأبيات مفكّك مضطرب، فإذا قمت بالتّقديم أو التّأخير أو الحذف لا يحدث تشويه أو نقص في القصيدة، وهذا راجع إلى أنّ البدو بطبيعتهم يعزوهم النّظر الفلسفيّ"[1]. فلا يرون الأشياء أو الحوادث إلا مجرّدة إذ لا تجمعها علاقة، ومن ثمّة كانت وحدة النّقد عند أدباء العرب هي البيت لا القصيدة.

ومن بين الخصائص أيضا نذكر، استعمالهم للغريب، وكذا جزالة ألفاظهم، وهذا راجع إلى تأثّرهم بمظاهر الغلظة والقوّة البادية في طباعهم ونظام اجتماعهم، هذا وكانوا يبدؤون بذكر الدّيار والأطلال، ويرجع هذا إلى أنّهم أهل خيام ومضارب، وهم قوم رحّل وأُلاَّفُ انتجاع وظعن، فلا يكاد الشّاعر يمرّ بمكان حتّى يذكر عهدا قضاه فيه وأحبّة رحلوا عنه، إذ تهيّجه الذّكرى فيجيبه ويبكيه، بالإضافة إلى ذلك فالشّعر الجاهليّ بمجمله كثير التّشابه، قليل التنوّع يجري في سياق واحد من السّماع والتّقليد[2].

(1)أحمد حسن الزّيّات:" تاريخ الأدب العربيّ للمدارس الثّانويّة والعليا"، دار النّهضة، القاهرة، مصر، د.ت، ط1، ص32.

(2) المرجع نفسه، ص33.

خامسا: نماذج من وصف الطّبيعة في معلّقة امرئ القيس.

يعتبر الوصف من الخصائص الجماليّة التي لا مناصّ من كينونتها في أيّ أدب رفيع فكأنّ خاصّية الوصف ملازمة للأدب شعره ونثره، ولعلّه ألزم للشّعر منه للنّثر وخصوصا في مراحل النّشأة الأولى لأيّ أدب كبير، ولعلّ أرقى الأوصاف وأنقاها وأشهرها في الأدب العربيّ تلك التي تصادفنا في المعلّقات السّبع، وخصوصا معلّقة امرئ القيس الذي وصف فيها: اللّيل، والبيداء، والمطر ، والحبيبة، والأطلال[1].

فكان الشّعراء إذا وصفوا حادثة مثّلوها بلا مغالاة في المجاز والكناية كما يفعل المتأخّرون، وإذا وصف أحدهم مكانا أو امرأة تجد تصوير الطّبيعة كما هي لو اضطرّ إلى ذكر بعض الأعضاء التي يعدّ ذكرها من قبيل البذاء، يفعل ذلك لا تهتكا وإنّما يصف الطّبيعة كما هي على عاداته في سائر الأمور,

لقد صوّر عرب الجاهليّة عاداتهم وحيواناتهم وأدواتهم في أشعارهم كما صوّرها المصريّون، والأشوريّون واليونان، والرّومان على قصورهم ومعابدهم، وكما استخرج علماء الآثار عادات تلك الأمم وأخلاقها من الآثار المنقوشة أو المحفورة، فالباحث في شعر الجاهليّة يستخرج من عادات تلك العرب وأدبهم وأخلاقهم وطبائعهم وسائر أحوالهم[2].

فعرب الجاهليّة فطروا على البساطة والبعد عن التّصنّع أو التّعامل في كلّ شيء شأن أهل البادية لبعدهم عن شوائب المدينة،فهم على الفطرة الطّبيعيّة وعنوانها الصّدق بكلّ معانيه، ويدخل في استقلال الفكر والشّجاعة الأدبيّة، والصّراحة في القول والعمل، فلا يتكلّفون في لباسهم ولا في طعامهم، وإنّما يقولون ما يخطر لهم ويصوّرونه كما يتمثّل لمخيّلتهم بلا تنميق أو تألّق.

---

(1) عبد الملك مرتاض:"الأدب الجزائريّ القديم دراسة في الجذور"، دار هومة ،الجزائر، 2009، د.ط، ص61.

(2)جورجي زيدان:" تاريخ آداب اللّغة العربيّة "، موفم للنّشر، الجزائر،1993، د.ط، ج1، ص143، ص137.

1. نماذج من وصف الطّبيعة الصّامتة:

أ. وصف الطّلل:

من المعروف أنّ القصائد الجاهليّة أغلبها يفتتح بالوقوف على الأطلال، واستيقاف الصّحب وذكر الأهل والأحبّة الذين ظعنوا، أيّا كان نوع القصيدة، وأيّا كان غرضها ، وقد أوحت البيئة التي كان يعيش فيها الشّاعر العربيّ إليه بهذا الافتتاح الكئيب الحزين وهذا عائد إلى حياة العرب في تلك الحقبة الجاهليّة، فحياتهم كانت قاسية وآفاقهم صحراوية تمتدّ إلى ما لا نهاية، وقلوبهم خفّاقة بالذّكرى، كثيرة التّردّد والانفعال.

فالعرب على حسب قول النّويهي:" قوم ترحال دائم ينتجعون المرعى، ويؤمّون تلك البقاع من الأرض التي تحفظ قدرا من مطر السّماء فينبت عليها العشب الذي ترعاه إبلهم ونوقهم"[1]، فحياة الجاهليّين انتقال وترحال ورحيل وهذا الرّحيل الدّنيويّ لطالما ذكّرهم بالرّحيل الأبديّ، فهم قوم لم تكن لهم عقيدة تفسّر لهم ثنائية الحياة والموت فتكون هذه الأطلال ناقوسا ينذر بالخطر، والشّاعر أكثر إحساسا بالمعاني[2]؛ لأنّه يعبّر عن شحنات نفسه بما يفيض به طباعه عسى أنّ ذلك عزاء وتنفيسا له، كما كان الشّاعر يذكر اسم المرأة التي أحبّها في مقدّمته الطّلليّة، فقد كانت المرأة المثير الرّئيسيّ لحالة الشّاعر وهي الدّاعي لشعوره باليأس، فالوقوف على الطّلل لم يأت إلاّ طلبا للمرأة الضّاعنة التي رحلت بعد أن أقفر المكان[3].

وخير دليل على ذلك معلّقة امرؤ القيس التي نحن بصدد دراستها حيث ابتدأها بالمقدّمة الطّلليّة والتي يقول فيها:

---

(1) حنّا الفاخوري: " الجامع في تاريخ الأدب العربيّ، الأدب القديم"، ص138.

(2) عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزن:"مدخل إلى تحليل النّص الأدبيّ"، دار الفكر، عمّان، الأردن، 2008، ط4، ص96.

(3) زياد مقدادي:" المقدّمة الطّلليّة عند النّقّاد المحدثين"، عالم الكتب الحديث، عمّان، الأردن، 2010، ط1، ص141.

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحُ فَالمِقْراةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

تَرَى بَعْرَ الآرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيعَانِهَا كَأَنَّهَا حَبُّ فُلْفُلِ

كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لاَ تَهْلَكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

وَإِنَّ شِفَائِيَ عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[1]

في هذه الأبيات الطّلليّة خاطب امرؤ القيس صاحبيه، وقيل بل خاطب واحد وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع اثنين؛ لأنّ من عادات العرب إجراء خطاب بالاثنين على الواحد والجمع، فهو هنا يدعو صاحبيه ليساعداه ويعيناه على البكاء على أحبّته الذين فارقهم، وتلك الدّيار والأطلال بمنقطع الرّمل المعوجّ والملتوي بين هذين الموضعين "الدّخول وحومل" وهما موضعان لم يذهب أثرهما بعد، وذلك من خلال قول امرئ القيس لم يعف رسمها، أي لم ينمح ولم يذهب أثرها على الرّغم من مرور الرّياح عليها، الجنوبيّة والشّماليّة فكلّما غطّتها إحدى الرّيحين بالرّمال كشفت ونزعت الرّيح الأخرى ذلك الرّمل كما يصف الظّباء البيض الخالصة البياض التي باتت تسكن تلك الدّيار، التي كانت سابقا دار أحبّته، وكيف أنّ هذه الآرام اتّخذتها موطنا لها، وكيف نشرت بعرها في ساحة هذه الأطلال كأنّها حبّ فلفل[2].

(1) امرؤ القيس:"ديوان امرؤ القيس"، ص29، ص30.

(2) الإمام الحسن بن أحمد الزّوزني:"شرح المعلّقات العشر"، حقّقه محمّد فاضي، دار أبحاث، الجزائر،2007، ط1، ص13إلى ص20.

ثمّ يقول كأنّي عند سمرات الحيّ، والسّمرة هي شجرة الصّبغ العربيّ وهي شجرة متواجدة في حيّهم أي في قبيلتهم، وناقف الحنظل هو نبات له حرارة تُدْمِعُ العينان فهو هو عند رحيل الأحبّة وقف وقفة جاني الحنظلة الذي يستخرج منها الحبّ بأظافره وأنّ أصحابه وقفوا عليه وهو واقف عند رواحلهم ومراكبهم، يقولون له لا تهلك من فرط الحزن وشدّة الجزع وتجمّل بالصّبر، غير أنّه يرى أنّ السّبيل إلى شفاءه يكون من خلال إدرافه للدموع فيكون هذا هو الحلّ الوحيد من أجل التّخلّص من الهموم والأحزان التي أحاطت به وذلك عند وقوفه على بقايا الدّيار وتذكّره للماضي والأهل والصّحب ، ثمّ يقول أنّه لا طائل من البكاء في هذا الموضع لأنّه لا يردّ حبيبا، ولا يجدي على صاحبه بخير.

ب . وصف اللّيل:

يشكّل إحساس الشّاعر الجاهليّ باللّيل محورا مفصليّا عبر تجربته الشّعريّة، بما يستفرده من استقطاب لمختلف الموضوعات التي تشغل باله في حياته لما له من تأثيرات في وجدناه وإحساسه بمشكلات عصره، فإذا كان الإنسان منذ الخلق الأوّل يتّخذ من اللّيل ملاذا تهدأ فيه أعصابه، ويستجمع في شموله قوّته بالتّأمّل والتّفكير في انشغالاته، ليستعيد نشاطه، ويحقّق توازنه النّفسيّ و الاجتماعيّ فإنّ الشّاعر يفضّل نظرته المتميّزة لهذه الانشغالات والتي تتجاوز المستوى الوجدانيّ إلى مستويات أخرى تلامس مشكلات عصره يتعامل مع اللّيل كظاهرة زمنيّة وجوديّة وفق رؤية شاملة يتمازج في استعمالها الهمّ الدّاخليّ بالهموم الخارجيّة، ومن ثمّة يصير اللّيل لدى الشّاعر الجاهليّ هاجسا مركزيّا بسبب الظّلام الدّاحس الذي يستر الأشياء ويجعل المرء عديم الجدوى، إذ يشلّه عن الحركة التي اعتاد ممارستها في النّهار، ويدخله في دوّامة من التّعلّق والتّوتّر، إذ كان هناك ما يسبّب له القلق، مادام الشّاعر يتميّز عن سائر الخلق البشريّ بإحساسه المفرط، ورؤيته الاستشرافيّة فإنّه ولا ريب يتفاعل مع محيطه بوعي فلسفيّ وجماليّ في استقبال اللّيل واستيعاب زمنه، إنّ الزّمن اللّيليّ هو زمن ميّت بحكم أنّ الأنشطة الاجتماعية التي يعتاد المرء ممارستها تتوقّف في غمرته، وفي ظلّ إحساس الشّاعر الجاهليّ بلا جدوى هذا الزّمن في البيئة العربيّة القديمة، فإنّه كان يهتمّ لهذا الأمر سواء تعلّق ذلك بتجربته الخاصّة أو بتجربة المجتمع القبليّ من حوله، ولذلك عبّر في العديد من المواقف عن عجزه أمام قسوة اللّيل وشراسته[1]، ويظهر ذلك في معلّقة امرئ القيس الذي رسم اللّيل بطريقة جميلة جدّا فيقول في وصف اللّيل:

(1) باديس فوغالي:" الزّمان والمكان في الشّعر الجاهليّ"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2008، ط1، ص130.

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا أَوْ نَاءَ بِكَلْكَلِ

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ[1]

يصف امرؤ القيس اللّيل في هذه الأبيات فيقول، فربّ ليل يحاكي أمواج البحر في توحّشه ونكارة أمره وقد أرخى عليه ستور ظلامه، ممزوجا بأنواع الهموم والأحزان ليختبر أيصبر أمام بطشه وطغيانه أم لا، ثمّ يتكلّم مع اللّيل الذي طال كثيرا وازداد طولا، وطول اللّيل ينبئ عن مقاساة الأحزان والشدائد والسّهر المتولّد عنها؛ لأنّ الذي به همّ يطول ليله، أمّا الذي لاهمّ له فإنّ ليله يقصر، فيخاطب امرؤ القيس هذا اللّيل فيقول له: ألا أيّها اللّيل الطّويل انكشف وتنحّ بصبح؛ أي ليستبدل ظلامك بضياء من الصّبح، ثمّ يقول وليس الصّبح بأفضل منك عندي لأنّي أقاسي الهموم نهارا كما أعانيها ليلا، ثمّ يقول فيا عجبا من ليل كأنّ نجومه شدّت بجبال من الكتّان إلى الصّخور الصّلبة وذلك لأنّه استطال اللّيل، فيقول أنّ نجومه لا تزول من أماكنها ولا تغرب، وإنّما استطال اللّيل لمعاناته الهموم ومقاساته الأحزان فيه[2].

(1) امرؤ القيس:" ديوان امرؤ القيس"، ص48، ص48.

(2) الإمام الحسن بن أحمد الزوزني :" شرح المعلقات السّبع"، ص40، ص41.

ج . وصف المطر:

في بيئة يطغى عليها الجذب ويشحّ فيها الماء يبتهج النّاس بالمطر ويترقّبون هطوله بلهفة وبفارغ الصّبر، وقد انعكس ذلك على صفحة الشّعر العربيّ في عصر ما قبل الإسلام بجلاء ووضوح، ولا غرابة في ذلك فالتّعبير بالشّعر عن المطر هو تعبير الأرواح العطشى لرحمة السّماء، وكثيرا ما يكون تعبيرا اجتماعيّا عن الطّهر والنّقاء والصّفاء والقداسة، إنّ هذا الشّعور السّار بالمطر و الاحتفال به شعور عامّ يشترك فيه الجميع بما فيهم المستهترون بالشّراب ، والمتيّمون بالحبّ، ومن هنا يدرك الشّاعر ما يعقب المطر من خير يعمّ الصّحراء، وخصب ينشر في الأرجاء[1]،ويعدّ الشّاعر امرؤ القيس شاعرا مبدعا فقد أقام بنيانا قويّا لصورة المطر، فقد أكثر من وصفه في ديوانه وتغنّى بصفاته حتّى عدّه النّقّاد والشّعراء من أجود الذين وصفوا المطر، فقد كان مبرزا في هذا المجال". فالمطر هو أساس الحياة، وقد ورد ذكره بكثرة في القرآن الكريم، حيث يقول تبارك وتعالى:{وَهُوَ الذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ}[2].

وقد أكثر العرب من استخدام المطر في أمثالهم ، فنجد أنّ امرأ القيس كان يصف المطر بحرارة عاطفته وصدق أحاسيسه وحبّه، فقد قدّم في معلّقته مشهدا متكاملا متناميا لرحلة المطر من السّماء إلى الأرض، ويشعرنا هذا الوصف بقوّة المطر الذي ينزل من السّماء وكذلك غزارته، واندفاعه[3]، وجاء وصفه للمطر في الأبيات التالية:

(1) خليل حسن محمد:" قراءات في الشّعر الجاهلي"، ص84.

(2)الشّورى: الآية 28.

(3) محبوبة محمد زاده شرازي:" المطر وتجلياته في شعر امرئ القيس وعبيد بن الأبرص"، دار التراث العربي ، د.ت، العدد7، ص108.

أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبً أَمَالَ السَّلِيطَ بِالذُّبَالِ المُفَتَّلِ

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ العُذَيَّبِ بَعْدُ مَا مُتَأَمَّلِي

عَلَى قُطْنِ ذَا الشِّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِه وَأَيْسَرُهُ عَلَى السَّتَارِ فَيَذْبُلِ

فَأَضْحَى يَسُحُّ المَاء حَوْلَ كَتِّيفَةٍ يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحُ الكَنَهْبَلِ

وَمَرَّ عَلَى القَنَانِ مِنْ نَفَيَاتِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ العُصْمُ مَنْ كُلِّ مَنْزِلِ

وَتَيْمَاءُ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعُ نَخْلَةٍ وَلاَ أُطُمًا إِلاَّ مُشَيَّدا بِجَنْدَلِ

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ[1]

يصف امرؤ القيس في هذه الأبيات المطر، فيبدأ أوّل الأمر بحديثه عن البرق حيث يقول لصاحبه أنّ هذا البرق يلمع وميضه كلمع اليدين في السّحاب المتراكم، وقد شبّه لمعان البرق، وكذا تحرّكه بتحرّك اليدين ولمعانهما، كما شبّه هذا البرق وضوءه بضوء مصباح الرّاهب إذا أكثر من صبّ الزّيت عليه، ثمّ يقول قعدت وأصحابي للنّظر إلى السّحاب بين هذين الموضعين "ضارج والعذيّب" وكنت معهم فبعد متأمّلي؛ أي بَعُدَ السّحاب الّذي كان يرقبه وينتظر مطره ثّم وصف عظمة السّحاب وغزارته وعموم جوده، فأضحى هذا السّحاب يصبّ الماء فوق هذا الموضع الّذي يسمّى "كتيفة"، و يلقي الأشجار العظام من هذا الضّرب الّذي يسمى "كنهبلا" على رؤوسها[2].

(1)امرؤ القيس:"ديوان امرؤ القيس"، ص59 إلى ص62.

(2)امرؤ القيس:"الدّيوان"، اعتنى به عبد الرّحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت،2004 ، ط2، ج1، ص63.

وكيف أنّ هذا الغيث مرّ على جبل يسمّى "القنّان"، فأنزل الأوعال العصمة من كلّ موضع من هذا الجبل، ولم يترك هذا الغيث شيئا من جذوع الأشجار والنّخيل بقرية "تيماء"، و لا حتّى القصور والأبنية سلمت من هذا الغيث إلاّ ما كان مرفوعا بالصّخور. ثمّ يقول أنّ جبل "نبير" في أوائل هذا الغيث يشبه سيّد أناس، و قد تلفّف بكساء مخطط شبّهت تغطية هذا الجبل بالغيث لتغطي هذا الرّجل بالكساء، ثمّ يصف هذا الغيث بثقله على صحراء "الغبيط" فأنبتت الكلأ وضروب الأزهار وألوان النّبات، فصار نزول المطر به كنزول التاجر اليمانيّ صاحب العياب المحمّل بالثّياب حيث نشر ثيابه يعرضها على المشترين وهذه الثّياب تشبه أصناف الأزهار النّاشئة من المطر، ثمّ يصف تغريدات طيور المكاء وعدم توقفها وكأنّها شربت خمرا مفلفلا يحذي اللّسان ويسكر، ثمّ ينتقل لوصف الأثر السلبيّ للمطر، حيث أدّى إلى غرق السّباع في السّيول و شبّه تلطخها بالطّين و الماء و الكدر بأصول البصل البريّ لأنّها ملطخة بالطّين والتّراب[1].

(1)المرجع السّابق، ص67، ص68.

2) نمادج من وصف الطّبيعة الحيّة:

أ. وصف المرأة:

لقد ولع الشّعراء الجاهليّون بوصف كلّ شيء حتّى المرأة، والتي تعتبر أحد عناصر الطّبيعة الحيّة، فقد كان الجاهليّ يصف حبيبته كما يصف ناقته أو فرسه ويحاول تصويرها بأسلوب التّشبيه، فينعتها بكل مستحب لديه، وشبّهها تشبيها حسيّا ماديّا، ويكثر من التشبيه والتّصوير ما استطاع، مستعيضا بذلك عمّا يعجز عن تباينه من خوالج النّفس ولواعج الصّدر[1]، ويعدّ امرؤ القيس من الشّعراء الّذين أبدعوا وأجادوا في وصف المرأة حيث يقول في معلقته:

وَبَيْضَة خِدْرٍ لاَ يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرُ مُعْجَلِ

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعْشَرًا عَلَيَّ حِرَاصًا لَوْ يُسَرُّونَ مَقْتَلِي

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أَثْنَاءَ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابُهَا لَدَى السِّتْرِ إِلاَّ لِبْسَة المُتَفَضَّلِ

فَقَالَتْ: يَمِينَ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةٌ وَمَا أَرَى عَنْكَ الغِوَايَةَ تَنْجَلِي

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلُ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ

هَصَرْتُ بِفَوْدِي رَأْسَهَا فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمُ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسِّجَنْجَلِ [2]

---

(1) حنّا الفاخوري:" الجامع في تاريخ الأدب العربيّ، الأدب القديم"، ص146.

(2) امرؤ القيس:"ديوان امرؤ القيس"، ص38إلى 42.

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَّاهَا نَمِيرُ المَاءَ غَيْرُ المُحَلَّلِ

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةَ مُطْفَلِ

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ

وَفَرْعٍ يَزِينَ المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ

غَدَائِرُها مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلى العُلاَ تَضِلُ العِقَاصُ في مَثْنَى وَمُرْسَل

وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ وَسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِي المُذَلَّلِ

وَتُضْحِي فَتِيتَ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

وَلَيَعْطُو بِرَخْص غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ مَنَارَةُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحَلِ

تُضِيءُ الظَّلاَمَ بِالعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةُ مَمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الحَلِيمُ صَبَابَةً إِذَا مَا اِسْبَكْرَّتَ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ

تَسَلَّتْ عِصَايَاتُ الرِّجَالِ عَنْ الصِّبَا وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِ

أَلَا رُبَّ خَصْمٍ فِيكِ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيحٌ عَلَى تِعْذَالِهِ غَيْرَ مُؤْتَلِ[1]

لقد جاء وصف امرؤ القيس للمرأة دقيقا، فقد وصف مفاتنها الجسديّة حيث شبّهها بالبيض في سلامتها من الإفتضاض، أو في صونها وسترها وصفاء لونها و نقاوته وكيف أنّه قد جاوز الأخطار ليصل إليها، ثمّ أخذ يصف مفاتنها في قوله : مهفهفة بيضاء و الهفهفة هي المرأة اللّطيفة الخصر، وهي بيضاء اللّون[2].

(1) المصدر السّابق، ص43 إلى ص49.

(2) الحسن بن أحمد الزّوزنيّ:" شرح المعلّقات السّبع"، ص32.

ثمّ قال غير مفاضة أي غير مسترخية، ثمّ وصف ترائبها وهو جمع تربية و هو موضع القلادة من الصّدر مسقولة أي لامعة كالسّجنجل و هو الفضّة اللاّمعة أو المرآة، فهو هنا بصفها بأنّها امرأة لطيفة الخصر وغير سمينة وصدرها يتلألأ ويلمع كلمعان المرآة، ثمّ استمّر في وصف مفاتن جسمها فقد وصفه بكلّ جزئياته، فإلى جانب وصفه ترائبها وصف شعرها الأسود و طوله وكثافته، كما وصف ساقيها وشبّههما بأنبوب السّقي، هذا ووصف رائحة المسك الزّكّية التّي انتشرت في فراشها، ثمّ يصف تناولها للأشياء بأنامل تشبه صنفا من الدّود، أو نوع من المساويك، و هو المتّخذ من أغصان هذا الشّجر، ثمّ يصفها فيقول أنّها تضيء ظلام العشاء كأنّها مصباح راهب متبتّل أي منقطع عن النّاس، ثمّ يضيف إلى أن ينظر العاقل بحنين إليها، إذا ما استكبرت و امتدّت قامتها بين من تلبس الدّرع وبين من تلبس المجول، وأنّ حبّه لها بلغ الغاية القصوى حتّى إنّه لا يرتدع عنه بردع ناصح ولا ينجح فيه لوم لائم[1].

(1) المرجع السّابق، ص33 إلى ص38.

ب . وصف الفرس:

أحبّ العرب الخيل في العصر الجاهليّ وهذا يرجع إلى منافعها الكثيرة ولذلك اهتمّوا بتربيتها واعتنوا بها عناية تفوق كلّ شيء، وقد اشتهر الجاهليّون بالمحافظة على أنسابها، وعدم الخلط بين سلالاتها، فتراهم يخلّدون ذكرها في قصائدهم ومقطوعاتهم، ومن هنا نستطيع القول أنّه ليس في مملكة الحيوان نوع يتداخل تاريخه مع تاريخ الإنسان كالخيل وكان لهم فيها من التّباهي و التّفاخر و التّنافس ما يدعو للتّأمل، ولم تزل العرب على ذلك من تثمين الخيل و الرّغبة في اتّخاذها وصيانتها والصّبر على مقاساة مؤونتها مع جدوبة بلادهم، وشدّة حالهم في معيشتهم إلى درجة أنّهم سمّوها الخير، والفرس عدّة للفارس في الحروب لغيرتها على صاحبها وهذا ما حملهم على تقريبها من بيوتهم، وإكرامها وتعظيمها، حتّى سمّيت بالمقرّبات [1]،بل وتعدّت أهمّيتها إلى ذكرها في القرآن الكريم حيث يقول اللّه تعالى:{ وَالعَادِيَاتِ ضَبْحًا، فَالمُورِيَاتِ قَدْحًا، فَالمُغِيرَاتِ صُبْحًا، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}[2].

ويقول امرؤ القيس في معلّقته واصفا الفرس:

وَقَدْ أَغْتَدَي وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدَ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍّ مِفِرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

كُمَيْتٌ يَزِلُّ اللَّبْدَ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالمُتَنَزَّلِ

عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٌ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَّةُ غِيٍّ مِرْجَلِ[3]

---

(1) نوري حمّود القيسي:" الطّبيعة في الشّعر الجاهليّ"، ص108.

(2)العاديات: الآية 1إلى5.

(3)امرؤ القيس:" ديوان امرؤ القيس"، ص51 إلى54.

مِسَحٍّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَنَى أَثَرْنَ الغُبَارِ بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ

يَزِلُّ الغُلاَمُ الخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ وَيُدْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ

دَرِيدٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

لَهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيبَ تَتْفُلِ

ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدَّ بَرْتُه سَدَّ فَرَجَهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسِ بِأَعْزَلِ

كَأَنَّ عَلَى المَتْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلاَيَةُ حَنْظَلِ

كَأَنَّ دِمَاءَ الهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ عُصَارَةُ حَنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ[1]

وصف امرؤ القيس فرسه وصفا جميلا ، حيث يقول وقد أغتدي و الطّير بعد مستقرّة في أعشاشها التي باتت عليها، على فرس ماض في السّير، قليل الشّعر يقيّد الوحوش بسرعة لحافه إيّاها، ثمّ يقول إنّ هذا الفرس مكرّ إذا أريد منه الكرّ، والفرّ إذا أريد منه الفر ومقبل إذا أريد منه الإقبال ، ومدبر إذا أريد منه إدباره ، وقوله معا يعني أنّ هذه الصّفات كلّها مجتمعة في هذه الفرس، كما أنّه شبّهه في سرعته وصلابته بصخرة ألقاها السّيل من مكان عال إلى الحضيض، وأنّ هذا الفرس كُمَيْتُ يزلّ لبده عن متنه؛ لانملاس ظهره واكتناز لحمه، وأنّ هذا الفرس تغلي فيه حرارة نشاطه على ذبول حلقه وضِمر بطنه[2].

(1) المصدر السّابق: ص55، ص56.

(2)امرؤ القيس:"الدّيوان"، ص53 إلى ص56.

هذا وشبّه تكسّر صهيله في صدره بغليان القدر، كما أنّ هذا الفرس يصبّ عدوه وجريه صبّا بعد صبّ،وأنّ الغلام الخفيف يزلق مقعده من ظهره، ويرمي بثياب الرّجل العتيق الثّقيل، ثمّ يقول أنّ هذا الفرس يواصل الجري ويسرع إسراع خدروف الصّبي، إذا حكّم فتل خيطه. ثمّ شبّه خاصرتيّ الفرس بخاصرتيّ الظّبي في الضّمر، وشبّه ساقيه بساقيّ النّعامة في الانتصاب والطّول، وعدوه بإرخاء الذئب، وتقريبه بتقريب تثفل؛ أي ولد الثّعلب، وأنّ هذا الفرس عظيم الأضلاع منتفخ الجنبين إذا نظرت إليه من خلفه رأيته و قد سدّ الفضاء بين رجليه بذيله. ثمّ شبّه ظهره الأملس بالحجر الذي تسحق عليه العروس الطّيب، وأنّ دماء أوائل الصّيد والوحش على ظهر هذا الفرس عصارة حنّاء وقد جفّت على رأسه الأشيب[1].

(1) المصدر السّابق، ص57، ص58.

ج . وصف البقر الوحشيّ:

كان تعرّض الشّعراء للبقر من خلال وصفهم لرحلاتهم، وربّما جاء ذكرها في مواضع الغزل، وعند تشبيه الشّعراء لأحبّتهم، وفي حديثهم عن الدّيار و إقفارها وخلوّها من الأحبّة، وهي تنعم بالحياة والحرّية في ديار كان ينعم فيها قوم أحبّهم الشّاعر وأحبّوه، ووقف الشّعراء عند عيون هذا الحيوان وكشحه وقرونه،وقلّما كان الشّعراء يصفون أعضاءه، ويجمع الشّعراء في تأكيدهم على اللّون الأبيض، أو البياض المنسوب بالسّواد في حديثهم عنه[1].

ويقول امرؤ القيس واصفا البقر الوحشيّ في معلّقته:

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ مُلاَءٍ مُذَيَّلِ

فَأَدْبَرْنَ كَالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ بِجِيدٍ مُعِمٍّ فِي العَشِيرَةِ مُخَوَّلِ

فَأَلْحَقْنَا بِالهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَارِحُهَا فِي صُرَّةٍ لمْ تُزَيَّلِ

فَعَادَى عِدَاءًا بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ بَيْنَ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ[2]

يصف امرؤ القيس في هذه الأبيات قطيع البقر الوحشيّ الذي عرض لهم أثناء رحلتهم، فيقول: كأنّ إناث البقر الوحشيّ عذارى يطفن حول حجر منصوب يطاف حوله في ملاءات طويلة ذيولها، كما شبّه المها في بياض ألوانها بالعذارى لأنّهنّ مصونات في الخدور أو الهودج فلا يغيّر ألوانهنّ حرّ شمس[3].

(1) نوري حمّود القيسي:"الطّبيعة في الشّعر الجاهليّ"، ص137.

(2) امرؤ القيس:"ديوان امرؤ القيس"، ص57، ص58.

(3) امرؤ القيس:"الدّيوان"، ص60، ص61.

هذا وشبّه حسن مشيها في الصّحراء بحسن تبختر العذراء في مشيها، ثمّ يضيف ويقول فأدبت النّعاج كالخرز اليمانيّ الذي فصل بينه بغيره من الجواهر في عنق صبيّ كَرُمُ أعمامه وأخواله؛ أي أنّ أخواله وأعمامه من سادة القوم وأشرافهم، إضافة إلى أنّه شبّه البقر الوحشي بالخرز اليمانيّ وهذا راجع إلى أنّ لون هذا البقر يمتزج ما بين الأبيض والأسود، فالأبيض يطغى على سائر جسده فوقها بقع سوداء وكذلك يغلب هذا اللّون الأسود على أقدامها ووجوهها، وهي بذلك مثل الخرز المصنوع من لون واحد يفصل بين تلك الخرزات بأحجار تختلف عن الأولى، وهذا الخرز لجماله لا يحظى به إلاّ الفتى ذو الشرف والنّسب الرّفيع.

خاتمة

خاتمة:

وخلاصة القول أنّ الطّبيعة كانت بمثابة المتنفّس والملجأ لجميع الشّعراء وخاصّة الجاهليّ، الذي انعكست بشكل واضح على أشعاره فصبغها بألوانها وجسّدها وجعلها صورة حيّة، كما صوّر شعر الطّبيعة حياة الجاهليّين بكلّ معانيها، صوّر قساوة مناخها، وقلّة مياها، وتنقّل أهلها من منطقة إلى أخرى، وقد أكسبت صعوبة العيش وشدّته للجاهليّ غِلْظَةً من المزاج، وقوّة على احتمال الشّدائد، فاندمجت روح الشّاعر بروح الطّبيعة، وحلّقتا في فضاء واسع خطّا بهذا الاندماج أروع القصائد وأعذب الكلام.

وبعد دراستنا توصّلنا إلى مجموعة من النّتائج والتي نوجزها في النّقاط التّالية:

1. نستنتج أنّ حياة شاعرنا قد تميّزت بالمغامرات المتنوّعة، فكان شعره تجسيدا لمظاهر الطّبيعة خاصّة في معلّقته" قفا نبك"، وأنّ السّبب المباشر في نظم معلّقته هو يوم"دارة جلجل"، وقد تميّزت معلّقته بالوصف، واحتلّت الصّور الطّبيعيّة نسبة كبيرة منها فوصف الأطلال، والخيل، واللّيل، والبقر الوحشيّ، والمرأة، فكانت الطّبيعة بالنّسبة له الملهم الأوّل؛ لأنّه كان يعيش حياة اللّهو والمجون، والحلّ والتّرحال مع صعاليك العرب فصوّر الطّبيعة في أدقّ تفاصيلها.

2 . أنّ الطّبيعة تنقسم إلى قسمين: الأوّل وهو الطّبيعة الحيّة والتي تشتمل على الكائنات الحيّة المتحرّكة ذات الصّوت، أمّا القسم الثّاني وهو الطّبيعة الجامدة وهي الطّبيعة التي تشتمل على الجمادات، وهناك طبيعة ثالثة أضافها الدّارسون والباحثون وهي الطّبيعة المصنوعة، والتي تتمثّل فيما صنعه الإنسان من قصور وآلات وغير ذلك، وأنّ لشعر الطّبيعة في العصر الجاهليّ خصائص فنّيّة يتميّز بها منها القصصيّة والواقعيّة والخصائص اللّفظيّة والمعنويّة، كما أنّ معلّقة امرؤ القيس تعتبر خير مثال على تصوير الطّبيعة سواء الحيّة أو الجامدة.

وفي الختام نحمد اللّه عزّوجلّ، ونرجو أن نكون قد وفّقنا ولو بالقليل في هذا البحث، وأن نكون قد أفدنا ولو بالقليل في حديثنا عن تجلّيات مظاهر الطبيعة في معلّقة امرئ القيس وكذا كيف صوّر ووصف امرؤ القيس هذه المظاهر.

الملحق

معلّقة امرؤ القيس

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحُ فَالمِقْرَاةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ... لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

تَرَى بَعْرَ الآرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا ... وَقِيعَانِهَا كَأَنَّهَا حَبُّ فُلْفُلِ

كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيُّهُمْ ... يَقُولُونَ لاَ تَهْلَكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

وَإِنَّ شِفَائِيَ عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ ... فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا ... نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القُرُنْفُلِ

فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مَحْمَلِي

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ ... وَلاَسِيَمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

يَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي ... فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا المُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا ... وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدَّمَسْقِ المُفَتَّلِ

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرُ عُنَيْزَةٍ ... فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلاَتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعًا ... عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ القَيْسِ فَانْزِلِ

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ ... وَلاَ تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ

فَمُثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتِ ومُرْضِعٍ ... فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمِ مِحْوَلِ

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ ... يَشُقُّ وَتَحِي شَقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ

وَيَوْمَا عَلَى ظَهْرِ الكُثَيِّبِ تَعَذَّرَتْ ... عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تُحَلَّلِ

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ... وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِ

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِ القَلْبَ يَفْعَلِ

وَإِنْ تَكِ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلاَّ لِتَضْرِبِي ... بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وَبِيضَةُ خِدْرٍ لاَيُرَامُ خِبَاؤُهَا ... تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرُ مُعَجَّلِ

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعْشَرًا ... عَلَيَّ حِرَاسًا لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ ... تَعُرُّضَ أَثْنَاءِ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابُهَا ... لَدَى السِّتْرِ إِلاَّ لِبْسَةُ المُتَفَضَّلِ

فَقَالَتِ: يَمِينَ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةٌ ... وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الغِوَايَةَ تَنْجَلِ

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا ... عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

فَلَمَّ أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى ... بِنَا بَطْنُ خِبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ

هَصَرَتْ بِفَوْدي رَأْسَهَا فَتَمَايَلَتْ ... عَلَيَّ هَضِيمُ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ

مُهَفْهَفَةٌ بِيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ ... تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ ... غَذَّاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي ... بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجُرَّةَ مُطْفِلِ

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ

وفَرْعٍ يَزِينُ المَتْنَ أَسْوَدِ فَاحِمٍ أَثِيثٌ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ

غَدَائِرُهَا مُسْتَجْزَرَاتٌ إِلَى العُلاَ تَضِلُّ العِقَاصُ فِي مَثْنَى وَمُرْسَلِ

وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ وَسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِي المُذَلَّلِ

وَتُضْحِي فَتِيتَ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشَهَا نَؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

وَتَعْطُو بِرِخْصٍ غَيْرَ شَثْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحَلِ

تُضِيءُ الظَّلاَمَ بِالعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الحَلِيمُ صَبَابَةٍ إِذَا مَا اسْبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ

تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الصِّبَا وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِ

أَلاَ رُبَّ خَصْمٍ فِيكِ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيحٌ عَلَى تِعْذَالِه غَيْرُ مُؤْتَلِ

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جُنْدُلِ

وَقَرْيَةُ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا عَلَى كَاهِلِ مِنِّي ذَلُولٍ مُرَحَّلِ

وَوَادٍ كَجَوْفِ الغَيْرِ قِفْرٌ قَطَعْتُهُ بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِي كَالخَلِيعِ المُعَيَّلِ

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى: إِنَّ شَأْنَنَا قَلِيلُ الغِنَى إِنْ كُنْتَ لَمْ تُمَوَّلِ

كِلاَنَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وَحَرْثُكَ يَهْزَلِ

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا بِمُنْجِرِدٍ قَيْدُ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

كَمِيتٌ يَزِلُّ اللَّبْدَ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالمُتَنَزَّلِ

عَلَى الذَّيْلِ جَيَّاشٌ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَهُ غَيٌّ مِرْحَلِ

مِسَحٍ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَنَى أَثَرْنَ الغُبَارَ بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ

يَزِلُّ الغُلاَمُ الخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ

دَرِيدٌ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

لَهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

ضَلِيعٌ إِذَا مَا اسْتَدْبَرَتْهُ سَدَّ خَرْجَهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

كَأَنَّ عَلَى المَتْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلاَيَةُ حَنْظَلِ

كَأَنَّ دِمَاءَ الهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ

فَعَنَّ لَنَا سِربٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلاَءٍ مُذَيَّلِ

فَأَدْبَرْنَ كَالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ بِجِيدٍ مُعَمٍّ فِي العَشِيرَةِ مِخْوَلِ

فَأَلْحَقْنَا بِالهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاهِرُهَا فِي صُرَّةٍ لَمْ تُزَيَّلِ

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضُجْ بِهَا فَيُغْسَلْ

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفُ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ

وَرُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ مَتَى مَا تَرِقُّ العَيْنُ فِيهِ تُسَفَّلِ

فَبَاتَ عَلَيْهِ سِرْجُهُ وَلِجَامُهُ وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمٌ غَيْرُ مُرْسَلِ

أصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أَمَالَ السَّلِيطَ بِالذُّبَالِ المُفَتَّلِ

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ العُذَيِّبِ بَعْدُ مَا مُتَأَمَّلِي

عَلَى قُطْنٍ بِالشَّيْبِ أَيْمَنُ صَوْبِهُ وَأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ فَيُذْبَلِ

فَأَضْحَى يَسِحُّ المَاءَ حَوْلَ كَتِيفَةٍ يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحُ الكَنَهْبَلِ

وَمَرَّ عَلَى القَنَانِ مِنْ نُقْيَانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ العَصْمُ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ

وَتَيْمَاءُ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعُ نَخْلَةٍ وَلاَ أطَمًا إلاَّ مُشَيَّدًا بِجَنْدَلِ

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ والأَغْثَاءِ فُلْكَةُ مِغْزَلِ

وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الغَيْطِ بِعَاعَهُ نُزُولَ اليَمَانِيِّ ذِي العِيَابِ المُحَمَّلِ

كَأَنَّ مَكَّاكِيَّ الجِوَاءِ غُدْيَةً صَبُحْنَ سُلاَفًا مِنْ رَحِيقٍ مُفَلْفَلِ

كَأَنَّ السِّبَاعَ فيه غَرْقَى عَشِيَّةً بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أَنَابِيشُ عُنْصُلِ

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أوّلا:المصادر:

1 . ابن سلاّم الجمحي:" طبقات فحول الشّعراء"، قرأه وشرحه محمود محمّد شاكر، دار مدني، جدّة، 1960، د.ط، السّفر الأوّل.

2 . الحسن بن أحمد الزّوزنيّ:" شرح المعلّقات السّبع"، حقّقه محمّد قاضي، دار أبحاث، الجزائر، 2007، ط1.

3 . امرؤ القيس:" ديوان امرؤ القيس"، دار صادر، بيروت، 2007، ط3.

4 . امرؤ القيس: "الدّيوان"، اعتنى به عبد الرّحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2004، ط2، ج1.

ثانيا: المراجع:

1 . أحمد حسن الزّيّات:" تاريخ الأدب العربيّ للمدارس الثّانويّة والعليا"، دار النّهضة، القاهرة، مصر، د.ت، ط1.

2 . النّاصر العجمي:" الخطاب الوصفيّ في الأدب العربيّ القديم الشّعر الجاهليّ أنموذجا"، دار المغاربة للنّشر والتّوزيع، 2003، د.ط، ج1،ج2.

3 . باديس فوغالي:" الزّمان والمكان في الشّعر الجاهليّ، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2008، ط1.

4 . جورجي زيدان:" تاريخ آداب اللّغة العربيّة"، موفم للنّشر، الجزائر، 1993، د.ط، ج1.

5 . حنّا الفاخوري:" الجامع في تاريخ الأدب العربيّ، الأدب القديم"، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2005، د.ط.

6 . حنّا الفاخوري:" الموجز في الأدب العربيّ وتاريخه، الأدب العربيّ القديم"، دار الجيل، بيروت، 1991، ط2، المجلّد الأوّل.

7 . خليل حسن محمّد:" قراءات نصّيّة في الشّعر الجاهليّ"، دار جرير، عمّان، الأردن، 2012، ط1.

8 . زياد مقدادي:" المقدّمة الطّلليّة عند النّقّاد المحدثين"، عالم الكتب الحديث، عمّان، الأردن، 2010، ط1.

9 . شوقي ضيف:" تاريخ الأدب العربيّ في العصر الجاهليّ"، دار المعارف، كورنيش النّيل، القاهرة، 1960، ط22.

10 . عادل جابر محمّد صالح، شفيق محمّد الرّقب:" تاريخ الأدب العربيّ القديم"، دار الصّفاء، عمّان، الأردن، 2010، ط1.

11 . عبد عون الرّوضان:" موسوعة شعراء العصر الجاهليّ"، دار أسامة، عمّان، الأردن، 2001، د.ط.

12 . عبد اللّه بن أحمد الفيفي:" ألقاب الشّعراء بحث في الجذور النّظريّة لشعر العرب ونقدهم"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009، ط1.

13 . عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزن،" مدخل إلى تحليل النّص الأدبيّ"، دار الفكر، عمّان، الأردن، 2008، ط4.

14 . عبد الملك مرتاض:" الأدب الجزائريّ القديم دراسة في الجذور"، دار هومة، الجزائر، 2009، د.ط.

15 . عفيف عبد الرّحمان:" الشّعر الجاهليّ حصاد قرن"، دار جرير للنّشر والتّوزيع، عمّان، 2007، ط1.

16 . غازي طليمات، عرفان الأشقر:" الأدب الجاهليّ، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه"، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2002، ط1.

17 . فوزي أمين:"دراسات في الأدب الجاهليّ"، كلّيّة الآداب، جامعة الإسكندريّة، دار المعرفة الجامعيّة، 2008، د.ط.

18 . محمّد موسى الوحش:" موسوعة أعلام الشّعر العربيّ"، دار حجلة، عمّان، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، 2008، د.ط.

19 . محمّد مجيد السّعيد:" الشّعر في عهد المرابطين والموحّدين بالأندلس"، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، 2008، ط3.

20 . مصطفى صادق الرّافعي:" تاريخ آداب العرب"، مكتبة الإيمان، د.ت، ط1، ج1.

21 . نوال مصطفى إبراهيم:" اللّيل في الشعر الجاهليّ"، دار البازوري العلميّة، عمّان، الأردن،2009، د.ط.

22 . نوري حمّود القيسي:" الطّبيعة في الشّعر الجاهليّ"، دار الإرشاد، بيروت، 1970، ط1.

ثالثا: المعاجم:

1 . ابن منظور: " لسان العرب"، ضبطه خالد رشيد القاضي، دار الصّبح، بيروت، لبنان، 2006، ط1، ج8.

2 . أبي عبد الرّحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي:" كتاب العين"، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السّمرائي، سلسة المعاجم والفهارس، د.ت ، د.ط، ج2.

3 . محبّ الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزبادي:"القاموس المحيط"، الهيئة العّامة للكتاب، 1989، ط3، ج4.

رابعا: المذكّرات والرّسائل الجامعيّة:

1 . عبد السّميع موفّق:"الطّبيعة في الشّعر المغربيّ القديم"، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير، في الأدب المغربيّ القديم، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009.

2 . فؤاد إسماعيل إشتيّة :" القمر في الشّعر الجاهليّ"، أطروحة مقدّمة للحصول على درجة الماجستير في اللّغة العربيّة، كلّية الدّراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين، 2010.

3 . قاسمي شاهيناز:" الرّؤيا والفنّ في معلّقة امرؤ القيس"، مذكّرة معدّة استكمالا لمتطلّبات نيل شهادة الماستر، أدب ولغة عربيّة، المركز الجامعيّ لميلة، 2013.

خامسا: الدوريّات والمجلاّت:

1 . محبوبة زادة الشّيرازي:" المطر وتجلّياته في شعر امرئ القيس وعبيد بن الأبرص"، دار التّراث العربيّ، د.ت، العدد7.

الفهرس

الفهرس

مقدمة..... (أ . ج)
مدخل: بيئة الشّعر الجاهليّ..... (10 . 15)
الفصل الأوّل: حياة امرؤ القيس وتأثير الطّبيعة في شعره ..... (18)
المبحث الأوّل: أصله ونشأته..... (18)
1 . مولده ونشأته..... (18)
2 . كنيته ولقبه ..... (18 . 19)
3 . سبب ملك آباءه..... (19 . 20)
4 . مقتل والد امرئ القيس..... (21)
المبحث الثّاني: حياته وأخلاقه..... (22)
1 . حياة امرئ القيس ..... (22)
2 . أسطورة أمر أبيه بذبحه..... (22 . 23)
3 . قبيلته وأسرته..... (23 . 24)
4 . تشرّده ..... (25)
5. أسطورة زواجه..... (25 . 27)
6. تصعلكه..... (27 . 29)
7. تأهّبه للأخذ بالثّأر ..... (30 . 32)
8 . وفاته..... (33 . 34)
المبحث الثّالث: أدبه..... (35)
1. ديوانه ..... (35 . 37)
2 . امرؤ القيس شاعر اللّهو والغرام..... (37)
3 . شاعريّة امرؤ القيس..... (38)
4 . معلّقته وسبب نظمها ..... (39)
5 . مصادر ثقافته ..... (40)
6 . ما استحسن النّاس من تشبيه امرئ القيس..... (41 . 42)

7 . ماقيل عنه في منزلته..... (43 . 44)
المبحث الرّابع : لجوء امرؤ القيس إلى الطّبيعة..... (45 . 46)
المبحث الخامس: انعكاس بيئة امرئ القيس في شعره..... (47)
الفصل الثّاني: تجلّيات مظاهر الطّبيعة في معلّقة امرؤ القيس..... (50)
المبحث الأوّل: شعر الطّبيعة ..... (50)
أوّلا: تعريف شعر الطّبيعة وأقسام الطّبيعة..... (50)
1 . تعريف الطّبيعة لغة..... (50)
2 . تعريف شعر الطّبيعة..... (51 . 52)
ثانيا: أقسام الطّبيعة..... (53)
1 . تعريف الطّبيعة الصّامتة ..... (54)
2 . تعريف الطّبيعة الحيّة ..... (54)
ثالثا: الخصائص الفنّية لشعر الطّبيعة في العصر الجاهليّ..... (55)
1 . الواقعيّة في شعر الطّبيعة..... (55)
2 . القصصيّة ..... (55 . 56)
3 . الخصائص المعنويّة ..... (56)
4 . الخصائص اللّفظيّة والموسيقيّة..... (57)
رابعا: مميّزات الشّعر الجاهليّ..... (58)
خامسا: نماذج من وصف الطّبيعة في معلّقة امرؤ القيس..... (59)
1 . نماذج من وصف الطّبيعة الصّامتة..... (60)
أ . وصف الطّلل..... (60 . 62)
ب . وصف اللّيل..... (63 . 64)
ج . وصف المطر ..... (65 . 67)
2 . نماذج من وصف الطّبيعة الحيّة..... (68)
أ . وصف المرأة..... (68 . 70)
ب . وصف الفرس..... (71 . 73)
ج . وصف البقر الوحشيّ..... (74 . 75)

الخاتمة..... (77)
الملحق..... (79 . 83)
قائمة المصادر والمراجع..... (85 . 88)
الفهرس..... (90 . 92)